

# برنامج "في ظلال الكلمة" وصفات المسيح (الجزء الأول) كُتِبَ الدراسة رقم ٢٠

Mini Bible College  
Study Booklet # 20  
Prescriptions of Christ  
(Part 1)

By  
Rev. Dr. Dick Woodward

بِقَلَم: القسّ الدكتور ديك وودورد  
ترجمة: القسّ الدكتور بيار فرنسيس

**All Rights Reserved**

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

## محتويات الكتاب

٢	المُقَدِّمَة
٣	الفصلُ الأوَّلُ
٩	الفصلُ الثَّانِي وَصَفَاتُ كِتَابِيَّةِ لِغَضَبِ الخَاطِئِ
١٤	الفصلُ الثَّالِثُ وَصَفَاتُ كِتَابِيَّةِ لِغَضَبِ المُقَدَّسِ
١٨	الفصلُ الرَّابِعُ وَصَفَاتُ كِتَابِيَّةِ لِلتَّوَاصُلِ مَعَ اللّهِ
٢٥	الفصلُ الخَامِسُ وَصَفَاتُ لِلتَّوَاصُلِ مَعَ النَّاسِ
٣٤	الفصلُ السَّادِسُ وَصَفَةُ لِخَطِيئَة
٣٩	الفصلُ السَّابِعُ وَصَفَةُ لِشُّعُورِ بِالدَّنْبِ
٤٨	خَاتِمَة

## المُقدِّمة

في هذا الكُتَيْبِ، وكذلك في الذي يليه، نوذُّ أن نستكشف أجوبة يسوع المسيح على بعض الأسئلة المثيرة للقلق في الحياة. نجدُ وصفات المسيح هذه في الكتاب المقدس. فكلمة الله تُوقِّرُ وصفاتٍ لنا جميعاً، ولكن ينبغي أن نعترف أننا بحاجة إلى مُساعدته، وأننا "مرضى". عندما نكونُ شديدي المَرَضِ، يُعطينا الطَّبيبُ وصفة دواءٍ لمُعالجة مرضنا. قال يسوع، "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المَرَضَى..." (متى ٩ : ١٢).

تمتدُّ مشاكلُ المؤمنين من التوتر في العلاقات، إلى الصِّراع مع الخُطيَّة. لهذا، قبل أن نتمم هدفَ مهمَّتنا، علينا أن نساعد المؤمنين على إيجاد حلولٍ لمشاكلهم. هذه الحلولُ يمكنُ أن نجدَها في أسفارِ كلمة الله المُقدَّسة، التي تحتوي على وصفاتٍ موحى بها للمشاكل التي نواجهها. وبينما نطبِّقُ هذه الوصفات الكتابيَّة على حياتنا، تُصبحُ الكنيسةُ أكثرَ من مكانٍ يفهمُ فيه المؤمنون خلاصهم، ويتأهلون للخدمة (فيلبي ٢ : ١٢؛ أفسس ٤ : ١٢). تُصبحُ الكنيسةُ عندها مكاناً حيثُ يجدُ المؤمنون حُلُولاً لمشاكلهم، الأمرُ الذي يجعلهم خُداماً مُثمريين لمجدِ الله.

في هذا الكُتَيْبِ الأوَّلِ حولَ الوصفاتِ الكتابيَّةِ، سوفَ ندرُسُ وصفاتِ الله؛ للعلاقاتِ الصعبة، للغضب، للتواصل مع الله والإنسان، للخُطيَّةِ والشُّعورِ بالذنب. صلاتي أن يصلَ بِكُمْ هذا الكُتَيْبِ إلى كلمة الله، ويصلَ بكلمة الله إليكم، لأننا في كلمته نجدُ وصفاتِ المسيح لمشاكلنا المُستعصية.

## الفصل الأول

"والمباحثات الغيبية والسخيفة اجتنبها عالماً أنها تولد خُصومات. وعبُد الرب لا يجب أن يُخاصم، بل يكون مترقياً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقات. مؤدياً بالوداعة المقاومين عسى أن يُعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق. فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢ تيموثاؤس ٢: ٢٣-٢٦).

بينما يؤمن الكثيرون أن الكنيسة ينبغي أن تعمل مثل المستشفى، بمعاملة كل من يدخل أبوابها بالحسنى، نتعلم من رسالة بولس إلى الأفسسيين أن الكنيسة ينبغي أن تكون مكاناً يكون فيه المؤمنون مُجهزين للخدمة. أوضح بولس رؤيا الكنيسة في عدد واحد. عندما نجتمع ككنيسة، ينبغي أن يكون هدفنا دائماً: "لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة" (أفسس ٤: ١٢). لكن ما يقف عقبةً بوجه الخدمة الفعالة، هي المشاكل المتعددة التي نواجهها كمؤمنين. إن تاهيل القديسين لعمل الخدمة ينبغي أن يُعالج هذه المشاكل.

الوصفة التي تُقتبس في هذا المقطع موجهة إلى مؤمن في علاقة صعبة. هذه العلاقة قد تكون مع الزوج أو الزوجة، الأولاد، الوالدين، المؤمن الآخر، أو ما نعتبره اليوم علاقة إرشاد. لقد كان بولس يكتب وصفته لتيموثاؤس ليريه كيف يمكن رعاية المؤمنين الصعبي المراس في خدمته كراع شاب.

عندما كان يُعلمنا كيف نكون ملح الأرض ونور العالم، علمنا ربنا أنه علينا أن نضع علاقتنا مع الله جانباً، إلى أن نتصالح مع أخينا المؤمن (متى ٥: ٢٤). لربما شارك يسوع هذه القيمة معنا لأنه عرف أننا لا نستطيع أن نربح العالم إذا خسرنا بعضنا البعض.

لربما لهذا نجد باستمرار وصفات في العهد الجديد تُعالج المشاكل التي يواجهها المؤمنون في علاقاتهم مع إخوتهم وأخواتهم في المسيح (متى ١٨: ١٥-١٨). "أن نحيا مع القديسين الذين أحببناهم، هذا أمرٌ مجيد. أما أن نحيا مع أولئك الذي نعرفهم، فهذا أمرٌ بغض". العلاقات التي تضع تحدياً بين المؤمنين، والتي تجعل من هذه الصفات ضرورية، كانت موجودة منذ أن ذبح قايين أخاه هابيل، ولا تزال تتحدى المؤمنين اليوم.

إذا تفحصتم هذه الوصفة بتروي، سوف ترون أن الرسول المحبوب بولس يُخبر تيموثاؤس أن الشرير هو المصدر والسلطة الكامنة وراء المشاكل التي تخلق هذه العلاقات الصعبة التي ينبغي على المؤمنين أن يهتموا بها في مجتمعاتهم الروحية. بالنهاية، الشرير هو سبب صعوبة العلاقات بين المؤمنين أحياناً.

هذا المقطع المأخوذ من رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاؤس، يقول لتيموثاؤس كيف ينبغي أن يتجاوب مع أولئك الذين كان يُعلمهم، لأن معظم التعليم في كنيسة القرن الأول

كَانَ يَتِمُّ فِي إِطَارِ الْعَلَاقَاتِ. تَعْلِيمُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ جَرَى فِي إِطَارِ التَّلْمِذَةِ الْفَرْدِيَّةِ بَيْنَ شَخْصٍ وَآخَرَ، أَوْ فِي كَنَائِسِ الْمَنْزِلِ الصَّغِيرَةِ. الْأَشْخَاصُ الْمُتَمَرِّدُونَ وَالصَّعْبُو الْمِرَاسِ غَالِباً مَا كَانُوا يَدْخُلُونَ إِلَى كَنَائِسِ الْمَنْزِلِ الصَّغِيرَةِ، وَيُزَعِّجُونَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُشْكِلُونَ عُضُويَّةَ هَذِهِ الْكَنَائِسِ الصَّغِيرَةِ. يَتَّضِحُ هَذَا مِنْ قِرَاءَةِ رِسَائِلِ بُولُسَ، وَالرِّسَائِلِ الْعَامَّةِ الَّتِي كُتِبَتْ إِلَى كَنَائِسٍ مِنْ قَبْلِ رُسُلٍ مِثْلِ رَسُولِ الْمَحَبَّةِ يُوْحَنَّا (٣ يُوْحَنَّا ٩، ١٠).

الرُّعَاةُ أَمْثَالُ يُوْحَنَّا وَتِيمُوثَاوُسَ كَانُوا يَتَوَاجَهُونَ مَعَ عِلَاقَاتٍ صَعْبَةٍ، سِوَاءٍ مَعَ أَوْلَادِكَ الَّذِي كَانُوا يُسَبِّبُونَ هَذِهِ الْإِضْطِرَابَاتِ، أَوْ مِنْ قَبْلِ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانُونَ بِسَبَبِهِمْ. لَقَدْ فَسَّرْتَ رِسَالَةَ بُولُسَ إِلَى تِيمُوثَاوُسَ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هَذَا، وَلَقَدْ أُعْطِيَ كَنِيسَةَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصْفَةً مُوَحَىٰ بِهَا كَتَجَاوِبٍ تَقِيٍّ مَعَ عِلَاقَةٍ صَعْبَةٍ.

إِذَا وَجَدْتَ نَفْسَكَ فِي عِلَاقَةٍ صَعْبَةٍ، تَأَمَّلْ بِهَذِهِ الْوَصْفَةَ خُطْوَةً بَعْدَ الْآخَرَى. أَوَّلًا قَالَ بُولُسُ لِتِيمُوثَاوُسَ بِأَنَّهُ لَكَ تَكُونُ جُزْءاً مِنْ حَلِّ اللَّهِ، فِي عِلَاقَةٍ صَعْبَةٍ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَّخِذَ الْتَزَاماً بِأَنْ تَكُونَ خَادِماً مُتَوَاضِعاً لِلرَّبِّ. اللَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجِدَ حُلُوماً لِمَشَاكِلِ الْعِلَاقَاتِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْتَعِينُ خَادِمَ الرَّبِّ كَوَسِيلَةٍ لِتَوْصِيلِ حَلِّهِ.

فَعِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ كُلَّ صَبَاحٍ، قَدْ تَتَوَاجَهُ مَعَ عِلَاقَتِكَ الْأَكْثَرَ تَحَدِّياً وَصُعُوبَةً، أَيَّ عِلَاقَتِكَ مَعَ زَوْجَتِكَ. وَقَدْ تَعْتَبِرُكَ زَوْجَتُكَ أَيْضاً الْعِلَاقَةَ الْأَصْعَبَ بِالنِّسْبَةِ لَهَا. بِحَسَبِ بُولُسَ، السُّؤَالُ هُوَ، أَيُّ مِنْكُمَا سَيَكُونُ خَادِمَ الرَّبِّ وَأَيُّ مِنْكُمَا سَيَكُونُ خَادِمَ الشَّيْطَانِ؟

يَقُولُ بُولُسُ لِتِيمُوثَاوُسَ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَعْمَلَهَا، سَتَفْتَحُ الْبَابَ أَمَامَ اللَّهِ لِلْعَمَلِ فِي تِلْكَ الْعِلَاقَةِ، وَتُعَلِّقُ الْبَابَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَهُنَاكَ أُمُورٌ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَعْمَلَهَا، سَتُعَلِّقُ الْبَابَ عَلَى اللَّهِ وَتَفْتَحُ الْبَابَ عَلَى مِصْرَاعِيهِ أَمَامَ الشَّيْطَانِ. لِهَذَا يُوصِي بِأَنْ عَبْدَ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ. فَإِذَا اسْتَدْرَجْتَ إِلَى جِدَالٍ فِي عِلَاقَتِكَ الصَّعْبَةِ وَغَضِبْتَ، فَهَذَا سَيُعَلِّقُ الْبَابَ أَمَامَ اللَّهِ وَيَفْتَحُهُ أَمَامَ الشَّيْطَانِ (٢ تِيمُوثَاوُسَ ٢: ٢٣ - ٢٦).

إِنْ كَانَ الشَّرِيكَانِ فِي الْعِلَاقَةِ رُوحِيَّيْنِ، عَلَيْكَ أَنْ تَفْهَمَ هَذَا: نَحْنُ جَمِيعاً لَدِينَا طَاقَةٌ بِاتِّجَاهَيْنِ. بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَكُونَ خُدَّامَ الرَّبِّ أَوْ خُدَّامَ الشَّيْطَانِ. كَتَبَ يَعْقُوبُ قَائِلاً: "لَأَنَّ غَضَبَ الْإِنْسَانِ لَا يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ." هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ عِنْدَمَا تُصَارِعُ وَعِنْدَمَا تَغْضَبُ، لَنْ تَكُونَ أَدَاةَ يَعْمَلُ اللَّهُ مِنْ خِلَالِهَا. بَلِ الشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي سَيَعْمَلُ مِنْ خِلَالِكَ عِنْدَمَا تَغْضَبُ.

فَكَمَا تَرَى، تَمَاماً مِثْلَ بَطْرُسَ، جَمِيعُنَا لَدِينَا الْإِمْكَانِيَّةُ لِنَقُولَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ"، وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ قَدْ نَقُولُ شَيْئاً يَجْعَلُ رَبَّنَا يَلْتَفِتُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ، "إِذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!" (مَتَّى ١٦: ٢٣). بِإِمْكَانِ الشَّيْطَانِ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ خِلَالِنَا تَمَاماً كَمَا يَسْتَطِيعُ اللَّهُ أَنْ

يعمل ذلك. فالتطبيق الأوّل الذي نجدُه في هذه الأعداد الأربعة التي نصَحَ بها بُولُسَ تيموثاؤس، هو أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَزِمَ بِأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ الرَّبِّ فِي عِلَاقَاتِنَا الصَّعْبَةِ.

وإن كَانَ الشَّخْصُ الأَخْرَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، فَهَذَا يَصِحُّ بالأَكْثَرِ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اللهُ سَيَعْمَلُ فِي هَذِهِ العِلَاقَةِ، فَهُوَ سَيَعْمَلُ بِالطَّبِيعِ مِنْ خِلَالِ المُؤْمِنِ. فَإِنْ كُنْتُمْ كِلَاكُمَا مُؤْمِنَيْنِ، السُّؤَالُ هُوَ، أَيُّ مِنْكُمَا سَيَلْتَزِمُ بِأَنْ يَكُونَ خَادِمَ الرَّبِّ فِي هَذِهِ العِلَاقَةِ؟

خُطْوَةٌ أُخْرَى فِي هَذَا الوَصْفَةِ، تَتَطَلَّبُ التَّرْكِيزَ عَلَى الطَّبِيعَةِ المُحَدَّدَةِ لِمُشْكِلةِ الشَّخْصِ الصَّعْبَةِ. يَسْتَعْمَلُ بُولُسُ بَعْضَ العِبَارَاتِ الَّتِي تُحَيِّرُنَا. فِي اللُّغَةِ اليُونَانِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ، كَتَبَ أَنَّهُمْ "يُنَاقِضُونَ أَنفُسَهُمْ" (٢ تيموثاؤس ٢: ٢٥).

إِنَّ كَلِمَةَ "نَفْسٍ" هِيَ كَلِمَةٌ مُثِيرَةٌ لِلإِهْتِمَامِ فِي كَلِمَةِ اللهُ. وَغَالِباً مَا يُسَاءُ فَهْمُهَا أَوْ يُسَاءُ تَطْبِيقُهَا. يُعْرَفُ القَامُوسُ "النَّفْسَ" بِأَنَّهَا "الفَرْدَانِيَّةُ، أَوْ فِرَادَةُ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهُ مُمَيَّزاً عَنْ كُلِّ شَخْصٍ". عِنْدَمَا يَكُونُ لَدَيْكَ هَذَا التَّعْرِيفُ فِي ذَهْنِكَ، لِاحْظِ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِيهَا الكَلِمَةُ فِي الكِتَابِ المُقَدَّسِ. قَالَ يَسُوعُ أَنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَحَدٌ مَا العَالَمَ بِأَسْرِهِ بَدَلَ نَفْسِكَ، سَتَكُونُ خَاسِراً حَتْمًا إِذَا قَبِلْتَ العَرَضَ. وَلَا يَنْبَغِي عَلَيْكَ أبدأً أَنْ تَسْتَهْتِرَ بِنَفْسِكَ أَوْ تَتَخَلَّى عَنْهَا، كَمَا قَالَ يَسُوعُ (مَرْفُوس ٨: ٣٦). وَلَا يَنْبَغِي أبدأً أَنْ تَبِيعَ نَفْسَكَ بِصَحْنِ حِسَاءٍ، كَمَا فَعَلَ عَيْسُو (تَكْوِين ٢٥: ٢٩ \_ ٣٤). لَا تَتَخَلَّى أبدأً عَنْ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الفَرِيدَةِ الَّتِي أَعْطَاكَ إِيَّاهَا اللهُ، وَلَا عَنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّتِي أَرَادَكَ اللهُ أَنْ تَكُونَهُ، مُمَيَّزاً عَنْ كُلِّ شَخْصٍ آخَرَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.

كَتَبَ بُولُسُ يَقُولُ أَنَّ جُزءاً مِنْ مُشْكِلةِ الشَّخْصِ الصَّعْبِ المِرَاسِ، هُوَ أَنَّهُ يُنَاقِضُ نَفْسَهُ. إِنَّهُ يُنَاقِضُ شَخْصِيَّتَهُ الفَرِيدَةَ، وَالفِرَادَةَ الَّتِي يُرِيدُهَا اللهُ لَهُ. قَدْ يَكُونُ يَتَشَابَهُ مَعَ مَا يَظُنُّ الجَمِيعُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَأَنْ يَعْمَلَهُ فِي حَيَاتِهِ فِي المَسِيحِ. وَقَدْ يَكُونُ مُقَلِّداً لِحَيَاةِ مُؤْمِنٍ آخَرَ يَكُونُ هُوَ مُعْجَباً بِهِ، وَيُقَارِنُ نَفْسَهُ بِهِ. وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الشَّخْصُ أَيْضاً مُسَيَّطِراً عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أَشْخَاصٍ أَقْوِيَاءَ وَطُغَاةٍ، لَنْ يُعْطُوهُ الحُرِّيَّةَ لِيَكُونَ الشَّخْصَ الفَرِيدَ الَّتِي يُرِيدُهُ اللهُ أَنْ يَكُونَهُ.

بِكُلِّ هَذِهِ الطَّرِيقِ يَعِيشُ أَمْثَالُ هُوَلاءِ فِي تَنَاقُضٍ لَمَّا يُسَمِّيهِ بُولُسُ فِي مَكَانٍ آخَرَ: إِرَادَةُ اللهُ الصَّالِحَةِ المَرَضِيَّةِ وَالكَامِلَةِ (رُومِيَّة ١٢: ١، ٢). وَهَكَذَا يُصْبِحُ هُوَلاءِ أَسْرَى الشَّيْطَانِ. بِحَسَبِ بُولُسِ، إِنَّهُمْ أَسْرَى أَوْ عَبِيدِ الشَّيْطَانِ. إِنَّهُ مَسْجُونُونَ فِي زَنْزَانَةِ إبْلِيسِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَرِّرَهُمْ. اللهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَكِّنَهُمْ مِنْ أَنْ يَسْتَرْتَدُّوا ذَوَاتِهِمْ.

فَمَا هُوَ إِذَا الِهْدَفُ مِنْ هَذِهِ الوَصْفَةِ؟ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الِهْدَفُ أَنْ يَسْتَرْتَدَّ هَذَا الشَّخْصُ الأَسِيرُ نَفْسَهُ وَيَتَحَرَّرَ. فَبِمَا أَنَّ اللهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ، فَأَكْثَرُ مَا يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَتَأَمَّلُوا بِهِ فِي هَذِهِ العِلَاقَةِ هُوَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ اللهُ خَادِمَ الرَّبِّ لِیُحَرِّرَ مِثْلَ هُوَلاءِ.

في هذا التعليم، يَنْصَحُ بُولُسُ أَنَّهُ إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَ اللَّهِ فِي عِلَاقَةٍ صَعْبَةٍ، عَلَيْكَ أَيْضاً أَنْ تَلْتَزِمَ بِأَنْ تَكُونَ أَدَاةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لَاحِظْ أَنَّهُ يَذْكُرُ ثَلَاثاً مِنْ ثِمَارِ الرُّوحِ (غَلَاطِيَّة ٥: ٢٢، ٢٣). يَذْكُرُ اللُّطْفَ، الْوِدَاعَةَ، وَالصَّبْرَ. وَيَكْتُبُ قَائِلاً أَنَّكَ إِذَا اتَّخَذْتَ الْخُطْوَةَ الْأُولَى وَكُنْتَ خَادِمَ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْعِلَاقَةِ، وَإِذَا اتَّخَذْتَ الْخُطْوَةَ الثَّانِيَةَ بِكَوْنِكَ لَطِيفاً، وَدِيعاً، وَصَبُوراً، بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَكُونَ الْأَدَاةَ الَّتِي سَيَسْتَعْمِدُهَا اللَّهُ لِتَحْرِيرِ هَذَا الشَّخْصِ.

رَكِّزْ عَلَى ثِمَارِ الرُّوحِ الثَّلَاثِ الَّتِي وَصَفَهَا بُولُسُ. فَكِّرْ بِالْوِدَاعَةِ. قَدْ تَكُونُ هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَسِيءَ فَهْمَهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيَّةِ كَلِمَةٍ أُخْرَى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فَالْوِدَاعَةُ لَيْسَتْ ضَعْفاً. الْوِدَاعَةُ هِيَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُرَوَّضاً. الْوِدَاعَةُ تُشْبِهُ حِصَاناً قَوِيّاً يُرَوِّضُ وَفِي النِّهَايَةِ يَسْتَسَلِمُ لِسَيْطَرَةِ الرَّسَنِ الَّتِي يُوضَعُ فِي فَكِّهِ. تَصَوَّرْ حِصَاناً يُقَاوِمُ الرَّسْنَ وَالرَّسْعَ فَيَمْرَقُ فَمَهُ. عِنْدَمَا يُقَاوِمُ الْحِصَانُ ضِدَّ وَضْعِ الرَّسَنِ وَالرَّسْعِ بَيْنَ فَكِّهِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَرْفُضُ الْخُضُوعَ لِسَيْطَرَةِ الْحَيَالِ.

عِنْدَمَا سَأَلَ بُولُسُ، "يَا رَبِّ، مَاذَا تُرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَ؟" قَبْلَ بَوْضَعِ الرَّسَنِ، وَخَضَعَ لِسَيْطَرَةِ الْمَسِيحِ. وَقَضَى بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَهُوَ يَتَجَاوَبُ مَعَ سَيْطَرَةِ أَوْ إِرَادَةِ رَبِّهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هَلْ سَبَقَ وَمَرَرْتَ بِهَكَذَا أَرْمَةً؟ وَهَلْ سَبَقَ وَاسْتَسَلِمْتَ لِئِيرِ الْمَسِيحِ، وَهَلْ تَعِيشُ فِي خُضُوعٍ يَوْمِيٍّ لِمَشِيئَتِهِ؟

الْوِدَاعَةُ هِيَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الرُّوحِ، وَلَيْسَتْ شَخْصِيَّةً رُوحِيَّةً تُطَوَّرُهَا نَتِيجَةً لِإِنْضِبَاطِنَا الرُّوحِيِّ. الْوِدَاعَةُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَنْهَا بُولُسُ هُنَا هِيَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الْعَامِلُ فِي الْعِلَاقَاتِ الصَّعْبَةِ. فَبِمَا أَنَّهُ مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ لَا نَتَنَازَعُ، وَأَنْ لَا نَغْضَبَ مَعَ الشَّخْصِ الصَّعْبِ الْمِرَاسِ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَجَاوَبَ مَعَ دَعْوَةِ الرَّبِّ لِأَنَّا نَحْدُ نِيرَهُ عَلَيْنَا وَنَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الصَّعْبَةِ، وَالْمَسِيحُ يُسَيِّرُ عَلَيَّ عَوَاطِفِنَا.

## الصَّبْرُ وَاللُّطْفُ

يَصِفُ بُولُسُ ثَمَرَتَانِ أُخْرَيَانِ مِنْ ثِمَارِ الرُّوحِ – اللُّطْفُ وَالصَّبْرَ. الْكَائِنَاتُ الْبَشَرِيَّةُ هِيَ سَرِيعَةُ الْعَطَبِ. إِنْ كُنْتَ سَتُصْبِحُ الْأَدَاةَ الَّتِي سَيَسْتَعْمِدُهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ لِيُحَرِّرَ أَسِيرَ الشَّيْطَانِ، عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ لَطِيفاً. هَلْ تَعْرِفُ مَا هُوَ اللُّطْفُ؟ اللُّطْفُ مَوْصُوفٌ فِي الْإِصْحَاحِ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ كُورِنْثُوسِ الْأُولَى. تَتَكَلَّمُ الْأَعْدَادُ ٤ إِلَى ٧ مِنْ إِصْحَاحِ الْمَحَبَّةِ الْعَظِيمِ ذَلِكَ، عَنْ خَمْسِ عَشْرَةَ فَضِيلَةً تُعَبَّرُ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَصَرُّفِ الْمَحَبَّةِ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ ثِمَارِ الرُّوحِ. إِذَا قُمْتَ بِدِرَاسَةٍ مُعَمَّقَةٍ لِهَذِهِ الْفَضَائِلِ، سَوْفَ تَرَى أَنَّ اللُّطْفَ هُوَ بِبَسَاطَةٍ قَضِيَّةٌ مَحَبَّةٌ الشَّخْصِ الصَّعْبِ الْمِرَاسِ.

وما هُوَ الصَّبْرُ؟ في علاقتنا مع الله، "الصَّبْرُ هُوَ الإِيْمَانُ المُنتَظِرُ." في علاقتنا مع النَّاسِ، "الصَّبْرُ هُوَ المَحَبَّةُ المُنتَظِرَةُ." نحن نتعلَّم أن نَقْتَدِيَ بِصَبْرِ أَيُّوبَ، الذي تَأَلَّمَ بِصَبْرٍ وَجَاءَ مِنْ خِلالِ أَلَمِهِ بِإِيْمَانٍ أَقْوَى. إِنَّ صَبْرَ أَيُّوبَ كَانَ الإِيْمَانُ المُنتَظِرُ. عندما نُرَبِّي الأَطْفَالَ لِيُصْبِحُوا بِالْغَيْنِ أَتْقِيَاءَ، أو نَطْلُبُ أَنْ نَكُونَ خُدَّامَ الرَّبِّ فِي عِلَاقَةٍ صَعْبَةٍ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ الصَّبْرَ الَّذِي هُوَ المَحَبَّةُ المُنتَظِرَةُ.

إذا درستِ بِتَمَعْنٍ الوَصْفَةَ الَّتِي نَرَاهَا فِي هَذَا المَقْطَعِ مِنْ كَلِمَةِ اللهِ، وَالَّتِي مَعَهَا بَدَأَتْ هَذَا الفَصْلُ، سَوْفَ تَرَى أَنَّ بُولُسَ يُخْبِرُ تِيموثَاوُسَ أَنَّ الشَّخْصَ الصَّعْبَ المِرَاسَ لَدَيْهِ دَوْرٌ لِيَعْلَبَهُ فِي عَمَلِيَّةِ تَحْرِيرِهِ. عَلَيْهِ أَنْ يُلَبِّي شَرْطَيْنِ: أَنْ يَعْتَرِفَ بِالحَقِيقَةِ، وَأَنْ يَخْتَبِرَ مَا دَعَاهُ بُولُسُ "رُوحَ التَّوْبَةِ." وَإِلَى أَنْ يُلَبِّي هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ، فَإِنَّ خَادِمَ الرَّبِّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَمَتَّعَ بِصَبْرِ خَارِقٍ لِلطَّبِيعَةِ، وَالَّذِي هُوَ ثَمْرَةٌ أُخْرَى مِنْ ثَمَارِ الرُّوحِ.

هُنَاكَ المَزِيدُ مِنْ وَصْفَةِ الحَيَاةِ هَذِهِ فِي العِلَاقَةِ الصَّعْبَةِ. كَجُزءٍ مِنْ هَذِهِ الوَصْفَةِ، وَالَّتِي هِيَ مُوجَّهَةٌ لـ "عَبْدِ الرَّبِّ"، نَقْرَأُ: "بُودَاعَةٌ مُعَلِّمِينَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يُنَاقِضُونَ أَنفُسَهُمْ، بَأَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ رُوحَ التَّوْبَةِ لِكَيْ يَعْتَرِفُوا بِالحَقِّ." مَا يَصِفُهُ بُولُسُ هُنَا لَيْسَ قَضِيَّةَ الإِزَامِ شَخْصِ صَعْبِ المِرَاسِ بَأَنْ يُوَاجِهَ الحَقِيقَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ أَنْ يُوَاجِهَهَا. فَحِثُّ لَمْ نُخْبِرْ بَأَنْ نَصْرُخْ أَوْ نَعِظْ لِهَكَذَا أَشْخَاصٍ بِالحَقِيقَةِ الَّتِي يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِمُ الإِعْتِرَافُ بِهَا.

يَنْصَحُ بُولُسُ أَنَّهُ إِذَا حَاقَظْنَا عَلَى ثَمْرِ الرُّوحِ فِي هَذِهِ العِلَاقَةِ، سَوْفَ يُصْغِي الأَخْرُونَ إِلَيْنَا. وَعِنْدَمَا يُصْغِي إِلَيْنَا الأَخْرُونَ، سَيَحْدُثُ مَا يُسَمَّى "بِلِحْظَةِ التَّعْلِيمِ." فَإِنَّ كُنَّا أَدَوَاتٍ لِثَمْرِ الرُّوحِ، فِي يَخْتَصُّ بِالْبُودَاعَةِ، اللُّطْفِ، الصَّبْرِ، فَإِنَّ لِحْظَةَ التَّعْلِيمِ قَدْ تَأْتِي عِنْدَمَا نَضَعُ أَمَامَ هَذَا الشَّخْصِ الحَقِيقَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ أَنْ يَفْهَمَهَا – الحَقِيقَةَ الَّتِي يُمَكِّنُهَا أَنْ تُحَرَّرَ.

عَلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَفْهَمَ مَدَى مَحْدُودِيَّتِنَا وَمَسْئُولِيَّتِنَا. هَلْ تَعْرِفُ أَيُّهَا القَارِئُ العَزِيزُ أَنَّ مَسْئُولِيَّتَكَ فِي العِلَاقَةِ لَهَا مَكَانٌ حَيْثُ تَبْدَأُ، وَآخِرُ حَيْثُ تَنْتَهِي؟ يُخْبِرُنَا بُولُسُ فِي مَكَانٍ آخَرَ أَنَّهُ بِمَقْدَارٍ مَا تَسْتَطِيعُ مَسْئُولِيَّتُنَا الوُصُولَ إِلَيْهِ، نَحْنُ مَسْئُولُونَ أَنْ نَعِيشَ فِي سَلَامٍ مَعَ الجَمِيعِ (رُومِيَّةُ ١٢: ١٨). هَذَا يَعْنِي أَنَّ مَسْئُولِيَّتُنَا لَهَا مَكَانٌ تَبْدَأُ فِيهِ، وَآخِرُ تَنْتَهِي فِيهِ.

فَسُرْعَانَ مَا تَقَفُ فِي الثَّغْرِ فِي وَسْطِ هَذِهِ العِلَاقَةِ، وَتَكُونُ عَبْدَ الرَّبِّ وَأَدَاةَ الرُّوحِ، وَتَكُونُ حَسَّاسًا لِلْحِظَةِ التَّعْلِيمِ، وَتَضَعُ أَمَامَ الأَخْرَيْنِ الحَقِيقَةَ الَّتِي يَحْتَاجُونَ أَنْ يَسْمَعُوهَا، سَيَتَرْتَّبُ عَلَيْكَ أَنْ تُدْرِكَ التَّالِي: أَنَّ اللهَ قَدْ يَمْنَحُهُمْ رُوحَ التَّوْبَةِ، لَكِي يَعْتَرِفُوا بِالحَقِيقَةِ وَيَسْتَرْتَبُوا ذَوَاتِهِمْ، أَوْ قَدْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ. وَقَدْ يِنَالُونَ رُوحَ التَّوْبَةِ، فَيُعِيدُونَ التَّفَكِيرَ مُجَدِّدًا، وَقَدْ لَا يَفْعَلُونَ.



ليس بإمكانك أن تعترف لهم بالحقيقة، وليس بإمكانك أن تتوب أمامهم. فتحريرهم يعتمد الآن على تلبيةهم لهذين الشرطين، والله سيعطيهم روح التوبة. فعندما نصل إلى هذه النقطة في هذه الوصفة من العلاقة الصعبة، علينا أن نقبل إطار محدودياتنا. وعلينا أن نعترف بحقيقة كون تحريرهم ليس ما نستطيع أن نعمله أو لا، بل ما يستطيع الله وحده أن يعمله، وحررتهم بأن يقبلوا أو يرفضوا ما يحاول الله أن يستخدمهم لإتمامه في ومن خلال حياتهم. هذا هو الوقت لتطبيق السير الروحي الذي أعبر عنه كالتالي: "أنا لا أستطيع، ولكن الله يستطيع."

## الفصل الثاني

### وصفات كتابية للغضب الخاطيء

"فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في الرب في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم. إذ هم مظلّموا الفكر ومتجربون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذي إذ هم قد فقدوا الحسّ أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. وأما أنتم فلم تتعلموا المسيح هكذا. إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع. أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور. وتتجددوا بروح ذهنكم. وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداصة الحق."

"لذلك اطرخوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه. لأننا بعضنا أعضاء البعض. ا غضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكاناً... ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط و غضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح. "فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحياء. واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا فرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة" (أفسس ٤ : ١٧ - ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ ؛ ٥ : ١ ، ٢).

هل سبق وتصارعت مع الغضب؟ معظم الناس سبق وعانوا من هذه المشكلة، ومعظم المؤمنين كذلك. قد لا يظهر ذلك لأحد، وقد يعلقون على هذه المشكلة في أعماق قلوبهم، ولكنها عاجلاً أم آجلاً سوف تظهر للعن. وليس ممكناً لهذا مشكلة أن تبقى دفينّة في القلب إلى الأبد. ولا ينبغي أن تكون هذه المشكلة دفينّة في حياة المؤمن على أية حال. ولكنها هناك، وفي هذه الحال نحتاج إلى البحث في الأسفار المقدسة على وصفات عن كيفية التعامل مع خطية الغضب. هناك وصفات في الكتاب المقدس تظهر لنا كيف تمكن الرب من تغييرنا داخلياً وخارجياً، لتخلص من غضبنا.

هناك نوعان من الغضب: الغضب المقدس، والغضب الخاطيء. الغضب المقدس يُسمى أحياناً "الإستنكار المقدس"، وهو الذي حرّك يسوع ليقلب موايد الصيافة في باحة الهيكل، لأنهم حولوا بيت الله إلى ما سماه يسوع "مغارة أضوص" (متى ٢١ : ١٢ ، ١٣).

في المقطع الكتابي الذي بدأت فيه هذا الفصل، يستخدم بولس صورة مجازية موحى بها، فيكتب قائلاً أنه ينبغي على المؤمن أن يذهب في كل صباح إلى "الخرانة الروحية"، ويرتدي "ثياباً روحية". في جانب من هذه الخرانة الروحية التي يُخبرنا عنها بولس الرسول، لديك أسمال الحياة القديمة. يكتب بولس قائلاً أن الأسمال التي اعتدت أن تلبسها عندما كنت "الإنسان القديم"، كما يُسميه هو، قد اهترأت وأصبحت رثة.

وفي الجانب الآخر من هذه الخزانة، لديك ما يُسميه بُولُس، "أثواب الحياة الجديدة." يقول بُولُس أُنْتُكَ بَيْنَمَا تَرْتَدِي ثِيَابَكَ رُوحِيًّا كُلَّ يَوْمٍ، عَلَيْكَ أَنْ تَنْزِعَ أَسْمَالَ الْحَيَاةِ الْقَدِيمَةِ الْبَالِيَةِ، وَأَنْ تَضَعِ أَثْوَابَ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ. يَصِفُ بُولُسُ هَذِهِ الْأَثْوَابَ كَلًّا بِمُفْرَدِهِ. يَقُولُ بُولُسُ أَنَّ الْغَضَبَ هُوَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَسْمَالِ الْبَالِيَةِ الَّتِي يَرْتَدِيهَا الْإِنْسَانُ الْقَدِيمُ. لِهَذَا يَقُولُ، "لِيُرْفَعَ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ غَضَبٍ" (أفسس ٤: ٣١).

بَعْضُ تَرْجَمَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يَبْدُو أَنَّهَا تَقُولُ أَنَّهُ عَلَيْكَ أَنْ تَغْضَبَ. وَلَكِنْ أَفْضَلُ التَّرْجَمَاتِ الْمُتَوَقِّرَةِ حَالِيًّا تَقُولُ، "فِي غَضَبِكُمْ، لَا تُخْطِئُوا."

### نوعان من الغضب

عندما يُعاقبُ عملُ الله وتُعاقُ مَشِيئَةُ اللهِ، يُؤدِّي مثلُ هذا الوضعِ إلى غَضَبِ مُقَدَّسٍ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ النَّقِيِّ ضِدَّ أَوْلِيَاءِكَ الَّذِينَ يُعَيِّقُونَ أَوْ يُقَاوِمُونَ مَشِيئَةَ وَعَمَلِ الرَّبِّ. لَيْسَ خَطَأً أَنْ نَشْعُرَ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْغَضَبِ، طَالَمَا أَنَّهُ لَا يَقُودُ إِلَى الْخَطِيئَةِ. وَلَكِنَّ النَّوعَ الثَّانِيَّ مِنَ الْغَضَبِ، أَيِ الْغَضَبِ الْإِثْمِ، هُوَ ذَلِكَ الْغَضَبِ الَّذِي يَمَكُتُ دَاخِلَ مُعْظَمِنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، بَيْنَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مَكَانٌ فِي حَيَاةِ أَيِّ تَلْمِيذٍ مُتَجَدِّدٍ مِنْ تَلَامِيذِ الْمَسِيحِ. الْغَضَبُ الْإِثْمِ هُوَ ذَلِكَ الْغَضَبِ الَّذِي يَرْتَفِعُ فِي قُلُوبِنَا عِنْدَمَا يَقِفُ شَيْءٌ أَوْ شَخْصٌ مَا فِي طَرِيقِنَا. فِي هَذَا الْفَصْلِ سَوْفَ نَجِدُ وَصَفَاتٍ مِنْ كَلِمَةِ اللهِ عَنِ الْغَضَبِ الْإِثْمِ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ.

### وصفات كتابية للغضب الإثم

إِنَّ التَّعْرِيفَ الْكِتَابِيَّ لِلْغَضَبِ مُبْرَهُنٌ فِي عَدَدٍ مَأْلُوفٍ مِنْ أَعْدَادِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: "كُلُّنَا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا، مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ." (إشعياء ٥٣: ٦). إِنْ كُنْتَ مُصَمِّمًا عَلَى أَنْ تَمِيلَ حَسَبَ طَرِيقِكَ، وَلَكِنْ حَاجِزًا مَا إِعْتَرَضَ طَرِيقَكَ، سَيَكُونُ لَدَيْكَ بَضْعَةٌ خِيَارَاتٍ. فَقَدْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَسَلَّقَ فَوْقَ هَذَا الْحَاجِزِ، أَوْ تَلْتَفَّ حَوْلَهُ، أَوْ أَنْ تَحْفَرَ تَحْتَهُ. الْأَمْرُ الْأَكْثَرُ طُفُولِيَّةً الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَهُ حِيَالَ هَذَا الْحَاجِزِ، هُوَ أَنْ تَسْتَلْقِيَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَأَنْ تَسْتَسَلِمَ لِعِنَادِكَ وَغَضَبِكَ. إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَرَى هَذَا النَّوعَ مِنَ الْغَضَبِ، لِاحِظْ طِفْلاً صَغِيرًا يُعَانِي مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ. هَذَا هُوَ وَصْفٌ دَقِيقٌ لِمَا نُسَمِّيهِ بِالْغَضَبِ الطُّفُولِيِّ.

هُنَاكَ وَصْفٌ آخَرٌ لِلْغَضَبِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، حَيْثُ نَجِدُ وَصْفَةً لِلْغَضَبِ الْإِثْمِ. فَعِنْدَمَا ضَرَبَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ حَتَّى الْمَوْتِ، اسْتَجَوَبَ اللهُ قَايِينَ. وَكَانَ جَوْهَرُ أَسْئَلَةِ اللهِ، "لِمَاذَا اغْتَطَّتْ؟ وَلِمَاذَا أَنْتَ مُكْتَنِبٌ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ، "أَيْنَ أَخُوكَ؟" ثُمَّ طُرِحَ سُؤَالٌ آخَرٌ بَعْدَ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ، وَهُوَ، "لِمَاذَا فَعَلْتَ؟" ثُمَّ، "إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلَا رَفَعْتَ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ [فَإِنَّ هَذِهِ الْخَطِيئَةَ سَوْفَ تُحَطِّمُكَ]، فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ إِشْتِيَاقُهَا، وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا." (تكوين ٤: ١ - ٧) عِنْدَمَا

تدرُس القَرينة، يبدو أن السؤال هو: "ما أو من هو مصدرُ وموضوعُ غضبك الحقيقي؟" أو "ممن أنتَ غاضِبٌ؟" و "ماذا كنتَ بالحقيقةِ تفعلُ عندما ضربتَ أخاك هابيل حتى الموت؟"

لم يكن يُوجدُ أيُّ خطبٍ في هابيل. فلماذا كان قايين غاضباً مع نفسه؟ كان هدفُ غضبِ قايين الحقيقي هو نفسه. فعندما لم تُقبلَ تقدّمتهُ أمامَ الله، كان سببُ ذلك هو أنه هو نفسه لم يكن مقبولاً. القضيّةُ الحقيقيّةُ في هذه القصة ليست قضيّة التقدّمات، بل الرّجلان. أهما سؤال طرّحه الله على قايين كان سؤال الذي أظهرَ لقايين كيف يُصبحُ مقبولاً أمامَ الله وأمامَ نفسه. ولقد أظهرَ هذا السؤالُ لقايين أنه كان أمامه خياران. كان بإمكانه أن يُحسنَ التصرف، ويُصبحَ مقبولاً، وكان بإمكانه أن يُهاجمَ هابيل. فإختارَ أن يُهاجمَ هابيل.

يُوجدُ أشخاصٌ في هذا العالم يأخذونَ هذا الخيارَ اليوم. فهم يصبّونَ جامَ غضبهم على الناس الذين ليسوا بالحقيقةِ موضوعَ غضبهم. فما هو مصدرُ أو مركزُ أو سببُ غضبهم الحقيقي؟ بكلماتٍ أخرى، ما هي القوى الديناميكية المتضمنة في الغضبِ الآثم؟ تُظهرُ هذه القصةُ الديناميكية في الإصحاح الرابع من الكتاب المقدس هذه القوى الديناميكية وتُظهرُ كذلك وصفاً عميقاً للغضبِ الآثم. والوصفاً هي أن نُحسنَ التصرف، وأن نعملَ المُستقيم، وأن نكونَ ذلك الشخص المقبول أمامَ الله، وأمامَ أنفسنا، وأمامَ الآخرين. هذا أفضلُ جدّاً من عيش الحياة ونحن نلومُ ونُهاجمُ الآخرين، لأننا غيرُ مقبولين.

لقد علّمَ يسوعُ هذه الحقيقةَ نفسها مُستخدماً صورةً مجازيةً فكاهيةً. فلقد طرّحَ السؤال، "لماذا تنظرُ القدي التي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تنظرُ لها؟ يا مُرائي! أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذٍ تُبصرُ جيداً أن تخرجَ القدي من عين أخيك." (متى ٧: ١-٥)

سمعتُ مرّةً امرأةً تقول، "لماذا يُغضبني أولادي إلى هذا الحد؟" فأجبتها سائلاً، "هل يضعُ أولادك هذا الغضبَ فيك، أم أنهم يُخرجونَ هذا الغضبَ منك؟ إنَّ مسؤوليّةَ حالتك الشعورية هي أكبر من أن تُحمليها لأولادٍ صغار. فهل يجوزُ أنّك تُصابينَ بالجئون، أو بالحزن، أو بالفرح، وكلُّ ذلك يتعلّقُ بهؤلاء الأطفال الصغار؟ فهل هم الذي يُغضبونك بالفعل؟ وهل هم موضوعُ، أو مصدرُ، أو مركزُ غضبك؟" هذا ليس صحيحاً بالطبع. إنَّ موضوعَ غضبها الحقيقي يُمكنُ أن يكونَ أن زوجها قد أغلقَ البابَ بعنفٍ عندَ ذهابه إلى العمل. وهكذا يكونُ الأولادُ "هابيلاً" تصبُّ المرأةُ عليهم جامَ غضبها.

بينما كنتُ أبحثُ في كلمة الله على أمرٍ يُساعدني على التغلبِ على غضبي، مررتُ بسؤالٍ طرّحه الله على النبيّ يونان. كان يونانُ غاضباً. فجاءه الله عندما كان في قَمّةِ غضبه وسأله، "هل تفعلُ حسناً بأن تكونَ غاضباً؟" (يوحنا ٤: ٤)

هذا سؤال عميق. أي عندما تكونُ غاضباً، هل تُحسِنُ التصرف؟ فكّرْ بهذا لبرهة. بعض الأشخاص يبقون غاضبين طوال الوقت. إذ يبقى غضبهم مستعيراً كالجمر تحت الرماد، كما يراهم الناس كل يوم. بإمكان الغضب المكبوت أن يسبب نوبات قلبية وغيرها من المشاكل الطبية. القضية هي أنك عندما تكون غاضباً، لن تحسن التصرف.

عندما تُفكّرُ بالحالة العاطفية التي تُحيطُ بك عندما تكون غاضباً، سوف تُدركُ أنّ الأشخاص الآخرين لن يُحسِنوا التصرف عندما تكون غاضباً. فكم من الأمسيات تُفسدُ عندما يغضب أحدُهم؟ هل سبق وحدث هذا معك؟ وقد يحدث مثل هذا الأمر على مائدة الغداء. وتقريباً كلُّ وليمّة عائلية على أحد الأعياد تُفسدُ، لأنَّ أحدَهم يغضبُ لسبب ما.

كتب يعقوب الرسول قائلاً: "إذاً يا إخوتي الأحباء ليكن كلُّ إنسانٍ مُسرّعاً في الإستماع مُبطناً في التكلّم مُبطناً في الغضب. لأنَّ غضب الإنسان لا يصنع برّ الله. لذلك اطرخوا كلُّ نجاسة وكثرة شرّ فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تُخلص نفوسكم. (يعقوب ١: ١٩-٢١).

بِكلماتٍ أخرى، الله لا يعمل من خلالك عندما تنفث بالغضب الآثم. وكما تعلّمنا في الفصل الأخير، عندما نكون غاضبين، نُغلق الباب بغضب في وجه الله ونفتحه أمام الشيطان (٢ تيموثاوس ٢: ٢٣-٢٦). علينا أن نُحدّد بوضوح ما هو الغضب. وعلينا أن نسمّيه باسمه. فالغضب هو خطيئة، والله لا يريد أن يرى الغضب في حياة المؤمن. ولن نتحمل مشكّلة الغضب إلى أن نعترف بأنَّ غضبنا هو خطيئة.

المقطع الكتابي الذي بدأنا به هذا الفصل، يُعطينا وصفاً للغضب عندما ينصح بالقول: "أن تتجددوا بروح زهنيكم." ما يقوله بولس الرسول هو أنه من الممكن أن يُعيد الله خلقنا وتغييرنا جذرياً. بهذه الطريقة نُخرج الخشبة من عيننا ونتخلّى عن نظرتنا الانتقادية اللاذعة والناجحة عن غضبنا الآثم، والتي تُؤدّي إلى مهاجمتنا "هابيل" في حياتنا.

يُعطي الرسول وصفاتٍ أخرى نافعة حيال غضبنا. يكتبُ مخاطباً الشركاء الزوجيين عندما يُعلّمنا أن لا تغرب الشمس على غضبنا. المبدأ هنا هو أنه علينا أن لا نكتب أو نضع غضبنا. في الأعداد الختامية من هذا الإصحاح، يُعلّم بولس الرسول أن الغضب المكبوت يقود إلى لائحة طويلة من المشاعر السلبية الهدامة.

على عكس ما يظنُّ الكثيرون، في هذا المقطع لا يُعلّمنا بولس بأن غضبنا بل يعترف بالواقع الصعب أنه هناك أوقات لا بد أن نغضب فيها. فيكتبُ بولس قائلاً ما معناه: "إذا غضبتم، تأكّدوا بأن لا يكون غضبكم آثماً." (أفسس ٤: ٢٦) يُعلّمنا أنه لا ينبغي أن يكون هناك غضب عندما يختم إصحاحه قائلاً، "ليرفع من بينكم كلُّ غضب!"

أُمُّ الْخَطَايَا هِيَ الْكِبْرِيَاءُ، وَسَوْفَ تَجِدُونَ الْكِبْرِيَاءَ مَوْجُودَةً فِي قَلْبِ كُلِّ شَخْصٍ يُعَانِي مِنْ  
غَضَبٍ آثِمٍ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَضَبُنَا غَضَبًا أَوْ إِسْتِنْكَارًا مُقَدَّسًا، نَتِيجَةً لِإِعَاقَةِ عَمَلِ اللَّهِ، عَلَيْنَا أَنْ  
نَعْتَرِفَ بِغَضَبِنَا الْآثِمِ، وَأَنْ نُنْطَبِقَ هَذِهِ الْوَصْفَاتِ الْكِتَابِيَّةَ عَلَى هَذِهِ الْخَطِيئَةِ.

## الفصل الثالث

### وصفات كتابية للغضب المقدس

لربّما تكون قد سألت نفسك عندما كنت تقرأ الفصل الأخير، "هل يمكن أن يكون هناك ما يُسمى بالغضب المقدس؟ الجواب على سؤالك هو بالتأكيد، "نعم!" فالغضب ليس دائماً غضباً أثمّاً. نحن نعرف هذا لأنّ مشاعر الغضب تُنسب إلى يسوع أكثر من مرّة في الأناجيل الأربعة. كان يسوع غاضباً عندما رأى أنّ هيكل سليمان، الذي كان ينبغي أن يكون بيت الصلاة، قد تحوّل إلى سوق تجارة فاسدة. فلقد حوّل رجال الدين طُفوس العبادة التي علّم بها موسى إلى خدعة لإستغلال الحجاج اليهود الذين كانوا يزورون أورشليم من أنحاء العالم، بمناسبة الأعياد المقدسة بحسب ناموس موسى.

كانوا يلزمونهم بدفع ثمن الحيوانات لتقديمها كذبائح، خمسة وسبعين ضعفاً بما يفوق قيمتها الحقيقية، وهكذا ألزمهم على شراء هذه الحيوانات الباهظة الثمن. ولم يقبلوا أن يتداولوا إلا بعملة الهيكل التي اخترعوها، وأجبروا الحجاج على شراء هذه العملة من صيارفة الهيكل بأثمان باهظة جداً.

عندما دمّر الرومان الهيكل بعد أربعين سنة من ذلك التاريخ، وجدوا بعملة اليوم ما يُعادل سبعة ملايين دولاراً، موجدون في خزنة خاصة. لا عجب أن يسوع كان غاضباً عندما قلب موايد الصيارفة، وطهر باحة مساحتها حوالي خمسة وعشرين ألف متراً مربّعاً، بينما كان يصرخ أنّهم حوّلوا بيت الصلاة إلى مغارة لصوص. لقد كان غضب يسوع غضباً مقدساً، لأنّ غضبه كان نابعاً من كون مشيئة وعمل الأب معاقين بنظام رجال الدين الفاسدين.

توجد كلمة غَضَبٌ حوالي ثلاثمائة مرّة في الكتاب المقدس. ثمان وتسعين بالمائة من المرات التي استُخدمت فيها، نجدّها تُشير إلى الغضب، أو غضب الله. فإذا غضب الله، ينبغي أن يكون غضبه هذا غضباً مقدساً. تأملوا بهذين التعريفين الجيّدين لغضب الله: "إنّ غضب الله هو ردة الفعل المبيدة من قبل القداسة الكاملة ضدّ ما هو ليس مقدساً بتاتاً، و"غضب الله هو ردة الفعل المبيدة من قبل إله محبٍ ضدّ كلّ ما يدمر موضوع محبته."

عندما أحضر مجرم كان قد اعتدى على طفلة في السابعة من عمرها وقتلها، عندما أحضر إلى محطة الشرطة، تطلبت تهديته والديه هذه الطفلة المغدورة ثمانية أعضاء من مركز الشرطة. لقد كان والدها زوجاً وأباً لطيفاً ومحبباً، ولكنّه كان قد إمتلاً بالغضب ضدّ ذلك الذي دمّر موضوع محبته. فهل من الممكن أن تكون محبباً وفي نفس الوقت قادراً على الغضب؟ بالطبع هذا ممكن.

إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ اللَّهَ، سَوْفَ تُدْعَى بِحَسَبِ خُطِّيئِهِ لِتَعْمَلَ عَمَلَهُ (رُومِيَّة ٨ : ٢٨). إِنْ كَانَ هَذَا الْعَدَدُ الْمَأْلُوفُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ يُظْهِرُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تُعَبِّرُ بِهَا عَنْ مَحَبَّتِكَ لِلَّهِ وَرَغْبَتِكَ بِالْحَيَاةِ، فَأَيُّ غَضَبٍ سَوْفَ يَشْتَعِلُ فِي قَلْبِكَ عِنْدَمَا تَرَى أَنَّ إِرَادَةَ، وَخُطَّةً، وَمَحَبَّةَ اللَّهِ لَكَ قَدْ أُعْيِقَتْ وَجُدِّفَ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ أَشْخَاصٍ أَشْرَارٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ؟

إِذَا قَرَأْتَ التَّارِيخَ، سَوْفَ تَجِدُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ الَّذِي اسْتَخَدَمَهُمُ اللَّهُ لِيَتِمَّمُوا مَشِيئَةَ اللَّهِ وَعَمَلَهُ عَلَى الْأَرْضِ، كَانُوا أَنْقِيَاءَ وَرُوحِيَّيْنَ وَمُقَدَّسِينَ جِدًّا. عِنْدَمَا رَأَى أَبِرَاهَامَ لِنُكُولِنِ الْعَبِيدِ يُبَاعُونَ كَالْحَيَوَانَاتِ فِي السُّوقِ، اسْتَعَلَ غَضَبُهُ! لَقَدْ آمَنَ أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ لَمْ تَكُنْ مَشِيئَةَ اللَّهِ، وَلِهَذَا كَانَ غَاضِبًا جِدًّا. هَذَا هُوَ الْغَضَبُ الْمُقَدَّسُ.

كَانَ هُنَاكَ مُؤْمِنُونَ آخَرُونَ عَظْمَاءَ، أَمثال Wilburforce الذي قاومَ الْعُبُودِيَّةَ بِكُلِّ جَوَاحِرِ هِ، وَالَّذِي كَانَ يَنْتَمِي إِلَى مَجْمُوعَةٍ تُسَمَّى "مَجْمُوعَةُ كِلَابِهَام" فِي إِنْكَلْتِرَا. هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ، الَّتِي تَتَأَلَّفُ مِنْ أَتْبَاعِ أَنْقِيَاءِ لَيْسُوعِ الْمَسِيحِ، فِي ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ الرُّوحِيِّ الَّذِي أزال الْعُبُودِيَّةَ مِنَ الْوُجُودِ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ أَحْزَنَتْ وَأَغْضَبَتْ قَلْبَ إِلَهِهِمُ الْمُحِبِّ. لَقَدْ كَانُوا مُقْتَنِعِينَ أَنَّ قَلْبَ اللَّهِ أَحْزَنَ وَغَضِبَ لِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ كَانَتْ تُدَمِّرُ مَوْضُوعَ مَحَبَّتِهِ.

يُوجَدُ مُؤْمِنُونَ الْيَوْمَ يَشْتَعِلُ فِيهِمُ الْغَضَبُ الْمُقَدَّسُ الْيَوْمَ بِسَبَبِ الْإِجْهَاضِ الْمُنتَشِرِ حَوْلَ الْعَالَمِ. إِنَّهُمْ يَتَمَسَّكُونَ بِشِدَّةٍ بِالِاقْتِنَاعِ أَنَّ مِلْيِينَ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ وَيُسَخَّبُونَ مِنْ أَرْحَامِ أُمَّهَاتِهِمْ، أَوْ يُقْتَلُونَ بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ أُخْرَى سَنَوِيًّا، أَنَّ هَذَا هُوَ أَمْرٌ أَشَدُّ ظُلْمًا مِنْ تِجَارَةِ الْعَبِيدِ فِي الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

هَلْ تَغْضَبُ عِنْدَمَا تَرَى الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَهُمْ نِسَاءٌ مُعَامَلَتُهُمْ. هَلْ سَبَقَ لَكَ وَرَأَيْتَ أَطْفَالًا أُسَيِّتَ مُعَامَلَتُهُمْ، أَوْ نِسَاءً تَعْرِضْنَ لِلضَّرْبِ؟ إِنْ كُنْتَ قَدْ رَأَيْتَ أَمثالَ هَؤُلَاءِ، هَلْ اسْتَعَلَ غَضَبُكَ عِنْدَمَا رَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرِيَاءِ غَيْرِ الْقَادِرِينَ عَلَى الدِّفَاعِ عَنِ أَنْفُسِهِمْ يُصْبِحُونَ ضَحِيَّةَ الْعُنْفِ؟ إِنْ كُنْتَ قَدْ شَعَرْتَ بِذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ الْغَضَبُ الْمُقَدَّسُ.

بِحَسَبِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، هُنَاكَ غَضَبٌ مُقَدَّسٌ وَهُنَاكَ غَضَبٌ آثِمٌ. عِنْدَمَا تَكُونُ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّحَايَا الْمَذْكُورِينَ أَعْلَاهُ، قَدْ يَكُونُ غَضَبُكَ غَضَبًا آثِمًا أَوْ مُقَدَّسًا. تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ وَصْفَاتٍ لِكُلِّ التَّوَعِينِ مِنَ الْغَضَبِ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ. كِرَاعِي كَنِيسَةَ، تَعَلَّمْتُ كَمْ هِيَ هَذِهِ الْوَصْفَاتُ لِلْغَضَبِ دَقِيقَةً وَهَامَّةً فِي حَيَاتِي وَفِي حَيَاةِ الَّذِينَ يَدْعُونَنِي كِرَاعِيهِمْ.

هُنَاكَ مَثَلٌ عَلَى ذَلِكَ لَا أَنْسَاهُ أَبَدًا، وَهُوَ عِنْدَمَا جَاءَتْنِي إِمْرَأَةٌ رُوحِيَّةٌ غَاضِبَةٌ جِدًّا، لَكِي تُشَارِكَ مَعِي مُشْكِلَةً مَا كَانَ لَدِيهَا هِيَ وَزَوْجُهَا ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ. كَانَتْ الصُّغْرَى طِفْلَةً مَحْبُوبَةً جِدًّا فِي الثَّلَاثَةِ مِنَ الْعُمْرِ. وَكَانَ لَدَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ مَيْلًا كَبِيرًا لِقَتْلِ ابْنَتِهَا الصَّغِيرَةِ هَذِهِ.



رُغم أنها لم تُعطي أيّ دليلٍ على كونها غاضبةً من أيّ شخصٍ كان، قُلتُ لها، "أرجو أن أراك ثانيةً، وقبل رُجوعك، أرجو أن تكتُبي لي لائحةً بأسماء الأشخاص الذين قد تكوني غاضبةً منهم في حياتك، خاصةً إن كنتِ قد عبرتِ حقيقةً عن غضبك تجاههم." ولقد صُدمتُ أنها عندما رجعت في الأسبوع التالي حاملةً لائحةً بأكثر من ثلاثين شخصاً! كانت تُخفي تحت سطح شخصيتها الهادئة غضباً مُستعراً تجاه هؤلاء الأشخاص، وكان لها ملءُ الحق بأن تغضب منهم.

وفي السنتين التاليتين، شجعتها على التعبير عن غضبها بطريقةٍ صحيحة، وعلى التعبير عن أسباب غضبها، ولكن بطريقةٍ لا تكون أئمةً. وبما أن معظم الأشخاص الذين على لائحتها كانوا ينتمون إلى كنيستها، شجعتها وساعدتها على أن تتصالح وتُرمم العلاقات مع كل الأشخاص الذين كانوا على لائحة غضبها. وبينما كانت تفعل ذلك لمدة سنتين، ذهبَتْ نزواته الغاضبة بعيداً، كما يخرج الهواء المضغوط من الإطار المنفوخ. وهكذا تخلّصت من رغبتها الجامحة بقتل ابنتها.

لقد تعلمتُ منها درساً قيماً عن الغضب. الدرس الأول كان أنه من غير الصحيح أن نكتب الغضب. لهذا ينصح بولس الرسول في المقطع الذي قرأناه في بداية هذا الفصل، أننا عندما نغضب، علينا أن لا ندع الشمس تغرب على غضبنا. وعلينا أن لا نُخزّن غضبنا من يوم إلى آخر. فإذا كتبنا غضبنا، سوف يخرج بطريقةٍ أخرى، لربما بشكلٍ مُنحرف، كما كان لدى تلك المرأة نزوةً لقتل طفلتها الصغيرة مثلاً.

ولقد تعلمتُ أيضاً أن جزءاً حيوياً من الوصفة الكتابية للغضب المقدس، في حال كون الضحية شخصاً روحياً، هو أن نغفر للذين يُسيئون إلينا. لقد كانت هذه المرأة روحيةً، ولقد نالت النعمة من الله لتغفر لأولئك الأشخاص الذين أساؤوا معاملةً لها.

إحدى أصعب العقبات في وجه الشفاء الداخلي لضحايا إساءة المعاملة، هي أن الضحايا لا يغفروا للذين أساؤوا معاملةً لهم. ويتطلب الأمر نعمةً خارقةً للطبيعة للغفران كما عُفِر لنا، ولكن إذا افترضنا أن الله سيمنحنا النعمة، الترجمة الحرفية لصلاة علمها يسوع لتلاميذه تُعطينا وصفاً للغضب المقدس: "واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا" (متى ٦: ١٢).

## كلمات صعبة

إنها كلماتٌ ينبغي أن تُقال فقط من قِبَل أشخاصٍ روحيين، في إطارِ علاقاتهم. وهذه الكلمات هي: "لقد كنتُ مُخطئاً. أنا آسف. هل تُسامحني؟" قد يتغير عدد هذه الكلمات من لغةٍ إلى أخرى، حيثُ قد يحتوي الفعل على الضمير في الوقت نفسه، مثل اللغة اليونانية. الطريقة

الثانية التي يُعبرُ بها عن هذه الكلمات هي التالية: "لقد كُنتَ مُخطئاً. ولقد آدبتني. ولكنني أسامحك." لقد أنقذت هذه الكلمات العديد من الزيجات، وغياب هذه الكلمات سبب دمار العديد من الزيجات والعلاقات.

يظهرُ الغضبُ المُقدَّسُ ووصفاته بعدة أشكالٍ. ولكن بغضِّ النَّظَرِ عَمَّا نشعرُ به من إستنكارٍ حيالَ إبتعاد المُجتَمَعِ عن أمورِ الله، أو الألمِ الشَّخْصِيِّ لكوننا ضحيةً، علينا دائماً أن نتفحصَ مصدرَ غَضَبِنَا، وموضوعَ غَضَبِنَا الحقيقي، وأن نُطَبِّقَ الأعمالَ الكِتَابِيَّةَ المَنصُوحَ بها. علينا أن ننظرَ داخلَ أنفسنا لنحدِّدَ دافعَ غَضَبِنَا. علينا أن نسألَ اللهَ بأن يُفَتِّشَ قُلُوبَنَا ويُحدِّدَ ما إذا كانَ سببُ غَضَبِنَا هُوَ أن إرادتهُ وعمَلُهُ قد أعيقا أو إنتهكا، أم إذا كُنَّا غاضِبينَ لكونِ عَقَبَةٍ ما تُعيقُ تقدُّمَ حُطَّتْنَا الدَّائِيَّةِ.

سُرْعانَ ما يتمُّ تحديداً أبعادِ غَضَبِنَا، علينا أن نطلبَ من الله أن يُجَيِّرَ إستنكارنا و غضبنا المُقدَّسَ لجعلها قُوَّةً إيجابيةً يستطيعُ إستخدامها لقلبِ الظُّلمِ الإجتِمَاعِيِّ مثل تجارة الرِّقِيقِ والإجهاض. علينا أن نعتَرِفَ بغَضَبِنَا الأثِمِ، وأن نطلبَ العُفْرانَ من أولئك الذين آديناهم بغَضَبِنَا. أحياناً، علينا أن نغفِرَ للذين أساءوا مُعامَلَتَنَا، وأن نبدأَ بِعَمَلِيَّةِ الشِّفَاءِ الدَّاخِلِيِّ، في حياتنا وفي حياتهم، بالمُصالَحةِ من خلالِ المسيحِ معَ اللهِ ومعَ بعضنا.

إن كُنتَ تحتاجُ إلى مُساعدَةٍ إضافيَّةٍ، وإن كُنتَ تعرفُ شخصاً يُعاني من هذه المُشكلة، أرجو أن تدرُسَ الأعدادَ التالية، التي ستُساعدُكَ لتفهمَ كيف تُساهمُ وصفةُ اللهِ للغضبِ والمُسامحةِ بِشفاءِ حياتِكَ الرُّوحيَّةِ داخلياً. مزمو ٧: ١١؛ أفسس ٤: ٢٦، ٣١، ٣٢؛ ٢ أخبار ٧: ١٤؛ متى ٦: ١٢، ١٥؛ ١٨: ٢١ - ٣٥؛ كُولُوسي ٣: ١٣.

## الفصل الرابع

### وصفات كتابية للتواصل مع الله

في الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتّيب، تأملنا بالوصفات الكتابية لمشاكلنا مع العلاقات الصعبة، ومع الغضب الآثم والغضب المقدّس. هناك خيطٌ مُتَسَلِّسٌ ينسابُ عبرَ كُلِّ من هذه الوصفات، وهو موضوعُ التواصل أو الإتصال.

عندما نجدُ أنفسنا في علاقاتٍ صعبة، تُعلِّمنا الوصفات التي تأملنا بها أننا نحتاجُ أن نُهدِّبَ ثمرَ الروح في حياتنا لكي نربحَ إصغاءَ الشخص الآخر لنا في هكذا علاقاتٍ صعبة. في لحظاتِ التعلُّمِ هذه، تكونُ القدرةُ على التّواصل هي الجزءُ الأصعبُ في الوصفة. ولن نتمكنَ أبداً من حلِّ هذه التّزاعات أو نُساعدَ على تحريرِ المُقيدينَ فيها، إن لم نتواصلَ معهم ونُخبرهم بوصفاتِ الله.

عندما يتعلّق الأمرُ بالغضب، سواءً الغضب الآثم أم المقدّس، قُلْتُ أنّ أهمَّ كلماتٍ هي التّالية: "لقد كُنْتُ مُخْطِئاً، أنا أسِف، هل تُسامِحني؟"، أو، "لقد كُنْتُ مُخْطِئاً، ولقد آذيتني، ولكنني أُسامِحُكَ." عندما استُخدمت هذه الكلمات، كثيراً ما أنقذت زيجاتٍ كثيرة؛ كما وأنّ عدم استخدام هذه الكلمات أدّى إلى تحطيم الكثير من الزيجات، خاصّة في العلاقات الصعبة.

هناك أشخاصٌ لن يقولوا أبداً، "لقد كُنْتُ مُخْطِئاً، ولن يقولوا أبداً،" أنا أسِف. فبالنسبة لهم، الإقرارُ بالخطأ هو نوعٌ من الضّعف، ولهذا لا يعترفون أبداً بالخطأ. وللأسف ذاته، لا يقولون أبداً أنّهم أسفون. وبالطبع لن يقولوا أبداً، "هل تُسامِحني؟" فهم يعتقدون أنّ هذا يضعهم تحت مستوى الشخص الآخر. وبما أنّهم لن يفعلوا هذا أبداً، تفشل علاقاتهم. ولكنّ كلماتٍ بسيطة مثل هذه: "لقد كُنْتُ مُخْطِئاً، أنا أسِف، هل تُسامِحني؟"، أو، "لقد كُنْتُ مُخْطِئاً (سواءً أقبلت بذلك أم لا)، ولقد آذيتني، ولكنني أُسامِحُكَ"، فإنّ كلماتٍ بسيطة مثل هذه تستطيع أن تُنقذ زيجاتٍ وعلاقاتٍ. إنّ قولَ مثل هذه الكلمات أو عدم قولها هو قضيّة تتعلّق بالتواصل أو بالإتصال.

عندما نتعاملُ مع الغضب، علينا أن نتمكنَ من التواصل. فإن كان لدينا غضبٌ أنانيٌّ، علينا أن نتكلّمَ ببساطةٍ بهذه الكلمات الحيويّة، وأن نطلبَ عُفْراً أولئك الذين آذيناهم بغضبنا الآثم. وعندما يكونُ لدينا غضبٌ مقدّس، علينا أن نتواصلَ بينما نتكلّمُ عن الظلم الذي ينتهك ويُعيقُ مشيئةَ وعملَ الله. عندما نكونُ نحنُ ضحايا هذا التعدي، علينا أن نصِلَ بالْعُفْراً لأولئك الذين سبّبوا لنا الأذى كما فعلَ المسيح. (لوقا ٢٣: ٣٤).

## التواصل مع الله

العلاقة التي لدينا مع الله هي علاقة علينا أن نتعلم فيها كيف نُطوّر مهارتنا في التواصل. النموذج الكتابي للتواصل في هذه العلاقة نجده في الإصحاح الثالث من الكتاب المقدس، حيث يتكلم الله مع آدم وحواء بعد أن أخطأ. نقرأ: "وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال من أعلمك أنك عريان؟" (تكوين ٣: ٨-١١).

بينما نبدأ بقراءة الكتاب المقدس، نتعلم مبدئين هاميين جداً عن التواصل السليم مع الله. أولاً، نتعلم أننا عندما نخطئ، يتابع الله القضية مباشرةً، ويبادر بالتواصل معنا وبتزيم العلاقة معنا. نتعلم أيضاً أننا غالباً ما نهرب من سماع صوته.

الحقيقة المدهشة المقدمة في هذه الصورة هي أن الله يتكلم ويتواصل مع خليقته. فالصوت يتكلم. نقرأ أن آدم وحواء سمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فخبأ أنفسهما من وجه الرب. فلقد أظهر صوت الله حضوره، أو كان تعبيراً نبع من محضره.

في بداية الكتاب المقدس، نجد ظاهرةً عجائبيةً، كما كانت في ذلك الزمان، وكما هي عليه الآن. فالله يريد أن يتواصل معنا وأن يكون لديه علاقة مع الجنس البشري، ولكن الجنس البشري يختبئ من ذلك التعبير الفصيح والجميل عن محبة الله غير المشروطة. أول أربعة أشياء قالها الله للإنسان كانت أسئلة. السؤال الأول كان: "أين أنت؟" لماذا سأل الله هذا السؤال؟ ألم يعرف أين كانا؟ بالطبع عرف. ولقد عرف أنهما إحتاجا للإعتراف بأنهما لم يعرفا أين كانا، لأنهما كانا ضالين.

أول شيء إحتاج أن يعرفه الضالون هو أنهم ضالون. فالله يسألهم، "أين أنتم؟" وهم يجيبون بما معناهم، "سوف نقول لك أين نحن. فنحن نسمع صوتك. ونحن لسنا بعبيد عنك لدرجة لا نسمع فيها صوتك. ولكن عندما نسمع صوتك، يُقلقنا كثيراً، لأنه مثل النور الساطع الذي يفضح عريننا. ونعرف أننا إذا استمرينا بالإصغاء إلى صوتك، فأنت سوف تفضح عريننا. وهذا ما لا نريده، ولهذا نخبئ. هذا هو مكان وجودنا."

عندما نقرأ: "سمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار"، قد يصعب علينا فهم ذلك. فهل سبق ورأيتم صوتاً يمشي، أو سمعتم صوتاً يمشي؟ أي منهما؟ هل سترونه أم ستسمعونه؟ ينبغي أن يكون هذا الوصف لغةً مجازيةً تُقدّم حقيقةً عميقةً عن كيف يتواصل الله معنا، وكيف يبني علاقةً معنا، وكيف نتواصل نحن مع الله وكيف يبني علاقةً

معهُ. عندما أُسمِّي هذه القصة مجازاً، لا أقصد أنها أسطورة. فالمجاز هو قصة يتخذ فيها الأشخاص والأماكن والأشياء معنى أعمق.

الصوت يتواصل. لقد سمعنا صوت الله. فإختبأ من حضرة الرب. ولقد برهن صوته حضوره، أو كان تعبيراً خرج من حضرتِه. فالذي إختبأ منه لم يكن الصوت؛ بل إختبأ من محضر الله.

جاء الله إلى الجنة لكي يتابع علاقته مع آدم وحواء. ولأنه عرف أنهما أخطأ، بادر بالاتصال بهما وبناء علاقة معهما. وهذا مجاز عن الوضع كما كان، وكما هو عليه الآن، عن كيف يلاحقنا الله اليوم، مُبادراً بالاتصال بعلاقة معنا، وبالحيقة بسبب كون الخطية في حياتنا تعني أننا بحاجة ماسة إلى تلك العلاقة مع الله، الذي يُحبنا بدون شروط. هذه القصة العميقة والجميلة هي مجاز رائع عن محبة الله غير المشروطة لنا نحن الخاطئة، كما كانت من زمان، وكما هي عليه الآن.

عندما أخبر أول رجل وإمرأة الله أين كانا، أجابهما الله قائلاً، "من أخبرك أنك عريان؟" إذا قرأت القصة، سوف تجد أن الله وضعهما في الجنة وقال لهما أن لا يأكلا من بعض الأشجار. نقرأ أنهما في اللحظة التي أكلا فيها، علما أنهما عريانين. رغم أن الله لم يبدأ معهما هذا التواصل بعد، علما أنهما كانا عريانين.

في سؤاله الثاني، يشير الله إلى تلك اللحظة التي عرفا فيها أنهما عريانان. كان يقول، "عندما عرفتما روجياً أنكما عريانان، من تظنان قال لكما ذلك؟" (لا يقول الأصل العبراني حرقياً، "من أخبركما؟" بل يقول، "من جعلكما تعرفان أنكم عريانان؟" من تظنان أعلن لكما هذا؟) كان يسأل، "ألستما تعلمان أنني كنت أتواصل معكما ولكنكما لم تدركا أن هذه المعجزة كانت تحدث؟" بنفس الطريقة، يتواصل الله معنا اليوم، ونحن لا ندرك حصول هذه المعجزة. فكما كان الحال من زمان، وكما هو عليه الآن، في الإصحاح الثالث من سفر التكوين، يظهر الله معجزة الإشتراك أو العلاقة التي يمكن للكائنات البشرية أن يقيموها مع خالقهم.

هل تُعطي قيمة كافية للتواصل مع الله، لكي تُخصص وقتاً كافياً لهذا التواصل؟ قال مودي، "إن كنت ستأخذ خلوة مع الله، ينبغي أن تأخذها قبل أن يستيقظ الناس أو بعد أن يخلدوا إلى النوم." أفلا يستحق الأمر أن تستيقظ باكراً قبل أن يكون الآخرون قد استيقظوا، أو أن تبقى ساهراً بعد أن يكون الجميع قد ناموا، لكي تتواصل مع الله؟

في يوحنا الإصحاح الرابع، حيث نقرأ أن يسوع التقى بإمرأة عند البئر، أخبرها حقيقة عجيبة عن العبادة بالنسبة لليهودي أو للسامري. فلقد كانا يناقشان الاختلافات بين نظرة

اليهود إلى الله، ونظرة السامريين إلى الله. فقالت المرأة، "أنتم اليهود تقولون أن لديكم الله في هيكلكم في أورشليم. ونحن نقول أن لدينا الله هنا على جبل جرزيم. فمن منا على حق؟" في أيامنا الحاضرة، يُطرح السؤال على الشكل التالي: "هناك عدة طوائف متنوعة في العالم المسيحي. أيها على حق؟"

عندما أجاب يسوع على سؤالها، قال ما معناه، "لا أحد يحتكر الله. فالله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. لأن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين له." كان A. W. Tozer يقول، "الله لا يبحث بشكل خاص عن عمال، لأن لديه الكثير منهم. بل هو يبحث عن عابدين، لأن ليس لديه منهم إلا القليل."

طُقوس العبادة اليهودية التي أشارت إليها المرأة السامرية، ترجع إلى بداية تعليمات شعب الله لعبادته، عندما أخبر الله موسى كيف ينبغي أن يقترب منه شعبه في العبادة. فأعطى موسى هذه التعليمات في سفر الخروج.

قال الله لموسى أن يبني خيمة عبادة. وكانت تحتوي خيمة العبادة على قُدس أقدس، وهي غرفة داخلية كان تابوت العهد يُحفظ فيها. فقال الله لموسى، "إن حضور سيمكت في تابوت العهد." وكان أشخاص مثل داود يقفون باستمرار في خيمة العبادة، طالبين الإقتراب من محضر الله المُقدس. ولقد مكنت سحابة المجد (الشكينة) حرفياً في قطعة الأثاث المقدسة تلك. لهذا، عندما كان دانيال في السبي، كان دائماً يتجه نحو أورشليم عندما كان يصلي. إن حضور الله المُقدس مكث حرفياً في هيكل أورشليم.

فكان جوهر ما قاله يسوع للمرأة السامرية عند البئر، "لم يعد الأمر كذلك. فالله موجود في كل مكان حيث تأتون إليه، تقتربون منه، تعبدونه، وتعرفونه بالروح والحق." لربما كان يبرز نبويًا الحقيقة الأكثر ديناميكية في العهد الجديد: "الستم تعلمون أنكم هيكل الله؟" ثم، "المسيح فيكم رجاء المجد." (1 كورنثوس 6: 19؛ كولويسي 1: 27). فبالنسبة لنا اليوم، التواصل مع الله يعني أن كل ما علينا أن نفعله هو أن نُخصّص الوقت اللازم للتواصل مع الله، ونذكر أنه بإمكاننا أن نتواصل مع الله، بغض النظر أين نحن.

نثنائيل، عندما سمع عن يسوع، سأل، "أعل شيئاً صالحاً يخرج من الناصرة؟" وعندما التقى يسوع بنثنائيل، قال، "هوذا إسرائيلي حقا لا غش فيه." (يوحنا 1: 47) فسأله نثنائيل، "من أين تعرفني؟" فأدهشه يسوع بقوله ما معناه، "أنا هو الشخص الذي كنت تتواصل معه تحت التينة."

فقال نثنائيل متعجباً: "أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل!" لقد كان نثنائيل رجلاً تقياً. ويبدو أنه عبد الله كل يوم تحت شجرة التين. ولربما لم يعرف أحد عن هذا الأمر إلا الله ونثنائيل

نفسه. فهل لديك شجرة تين تعبدُ الله تحتها؟ هل لديك مكانٌ وزمانٌ حيثُ تتواصلُ فيهما مع الله؟

تعريفي المفضل للصلاة هو أن الصلاة هي مُحادثَةٌ مع الله. فإن كنتُ تُعْتَبِرُ مُحَدِّثًا بارعًا، هذا يعني أنك تعرفُ أن كلَّ مُحادثَةٍ لديها بُعدان أو مجالان: عندما تتكلمُ أنت، وعندما يتكلمُ الطرفُ الآخر. وهذا يصحُّ بشكلٍ خاصٍ في التَّواصلِ مع الله. فهناك أشياء يريدُ الله أن يسمَعها مِنَّا، مثل عندما نعرِّفُ بخطايانا، وعندما نعبُدُه. ولكننا لا نقولُ له أبداً ما لا يعرفُه هو أصلاً، أو ما قد يفاجئُه. ولكن عندما يتواصلُ معنا، فهو يجعلنا نعرفُ أشياء لم يكنُ ممكناً أن نعرفها بطريقةٍ أخرى. وهو يجعلنا أيضاً نعرفُ أشياء تُدهِشنا.

في تكوين ٣، يقولُ الله، "أنا أتواصلُ معكم، وأريدكم أن تتواصلوا معي. أريدُ أن أتمنَّع بعلاقةٍ معكم. أنا أعرفكم، وأريدكم أن تعرفوني. تعالوا إلى محضري، تواصلوا معي، اعرفوني وابنوا علاقةً معي. وسألتقيكم إذا خصصتمُ زماناً ومكاناً لعلاقتكم معي."

الذي أبرزه موسى هنا هو العلاقة الأكثر أهميَّة والتَّواصل الأكثر أهميَّة في العالم. فما هو الهدفُ من هذه التَّواصل؟ القصدُ من هذه التَّواصل هو أن نعرف الله وأن نعبُدُه. أن نعرفه يعني أن نُحِبُّه. فالعبادة هي ببساطة التعبير عن محبتنا له. والقصدُ هو أيضاً الصلاة له، أن نأتي كما قال بطرس، "مُلَقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عليه"، ومن ثمَّ نكتشفُ أنه يهتمُّ لأمرنا. القصدُ من هذا التَّواصل هو أن نأتي إلى عرشِ النعمة لكي ننالَ رحمةً على سقطاتنا، ونعمةً لتساعدنا في أوقات حاجتنا (بطرس ٥: ٧؛ عبرانيين ٤: ١٧).

### التواصل مع أنفسنا

كان هناك رجلٌ يعيشُ كناسيكٍ في عزلةٍ، وقامَ بزيارةٍ لمكتبِ البريدِ القريبِ من صومعته التي كان يعيشُ فيها. وهناك، التقى برجلٍ كان يُغادرُ مكتبَ البريدِ، حاملاً رزمةً من الرسائل، مُبتهجاً بكونه قد وصلتُهُ هذه الرسائلُ الكثيرة كلها. فسأله الناسكُ، "متى كانت آخر مرةٍ استلمتَ فيها رسالةً من نفسكِ لنفسك؟"

أليس هذا السؤالُ مثيراً للعجب؟ فكم من الوقتِ مضى منذُ أن سمعتَ رسالةً من نفسكِ لنفسكِ آخر مرةٍ؟ فأنت تسمعُ من الآخرين، ولكن كم مرَّةً من الوقتِ منذُ أن سمعتَ من نفسكِ؟ وهل ممكناً أن يسمَعَ الإنسانُ رسالةً من نفسه؟ هل تعتقدُ أنك إذا تكلمتَ مع نفسكِ تكونُ مجنوناً؟ مرَّةً سمعتُ أحدهم يقولُ، "أنا أتكلَّمُ مع نفسي لأنَّ هذا هو الوقتُ الوحيدُ الذي أتكلَّمُ فيه مع شخصٍ ذكيٍّ، أو أتكلَّمُ عن شخصٍ ذكيٍّ."

إنَّ السؤالَ الذي طرَّحه الناسكُ الذي يعيشُ في العزلة، يُبرِّزُ الانضباطَ الروحي بالإستماع إلى النفس، ويوعي ما يجري في عقلك وذهنك. وهذا ينسجمُ مع الكلمات التي كتبها داود:

"تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ." (مزمور ٤: ٤). عندما نتأمل بصمت، مُهَدَّيْن قُلُوبَنَا فِي دَاخِلِنَا، يَكُونُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَتَأَمَّلَ بِالأَشْيَاءِ الَّتِي يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَنَا بِهَا، وَيَكُونُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُحْضِرَ تَجَاوِباً ذَهْنِيّاً عَلَى مَا تَأَمَّلْنَا بِهِ. إِنْ كُنَّا لَا نَأْخُذُ هَذِهِ الفُرْصَ وَالْأَوْقَاتَ الهَادِيَةَ المُنْفَرِدَةَ، لَنْ نَحْيَا مَعَ فَهْمٍ لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ يُعَرِّفُنَا اللهُ كَيْفَ نَمَجِّدُهُ.

يَحْضُنَا دَاوُدُ جَدِيّاً فِي المَزْمُورِ الرَّابِعِ، عَلَى أَنْ نَتَكَلَّمَ مَعَ نُفُوسِنَا وَأَنْ نَجْتَمِعَ بِنُفُوسِنَا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. لَا بُدَّ أَنْ دَاوُدُ كَانَ فِي ضَيْقٍ عِنْدَمَا كَتَبَ هَذَا المَزْمُورَ. وَلَمْ يَكُنْ قَادِراً عَلَى النَّوْمِ، وَهَكَذَا تَحَادَثَ مَعَ نَفْسِهِ. وَتَوَاصَلَ مَعَ قَلْبِهِ عَلَى فِرَاشِهِ. مَا هُوَ القَصْدُ مِنْ هَذَا التَّوَاصُلِ؟ هَذَا مَا نُسَمِّيهِ بِالتَّأَمُّلِ أَوْ التَّفَكِيرِ الذَّاتِيِّ. كَانَ عَلَى دَاوُدَ أَنْ يُفَكِّرَ كَيْفَ سَيَتَجَاوَبُ مَعَ الأُمُورِ الَّتِي يُعَرِّفُهُ بِهَا اللهُ، عِنْدَمَا يَسْمَعُ اللهُ.

هُنَاكَ بَعْدُ آخَرٌ مِنَ التَّوَاصُلِ مَعَ اللهُ، نَرَاهُ فِي المَزْمُورِ الرَّابِعِ. يُخْبِرُنَا دَاوُدُ أَنَّهُ إِكْتَشَفَ البُعْدَ الإِنْسَانِيَّ لِلْمَحَادَثَةِ مَعَ اللهُ. كَتَبَ يَقُولُ: "فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ مَيَّرَ تَقِيَّةً. الرَّبُّ يَسْمَعُ عِنْدَمَا أَدْعُوهُ." لَقَدْ عَرَفَ دَاوُدَ وَإِخْتَبَرَ ذَلِكَ النُّوعَ مِنْ مَحَادَثَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَنْ يَتَكَلَّمَ الإِنْسَانُ مَعَ اللهُ.

وَلَقَدْ حَقَّقَ دَاوُدَ الإِكْتِشَافَ التَّالِيَّ: "فِي الضَّيْقِ رَحَّبْتُ لِي الرَّبُّ." مَتَى نَتَوَاصَلُ فِعْلاً مَعَ اللهُ؟ هَلْ نَقُومُ بِذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ لَدَيْنَا مُشْكِلةٌ وَلَا نَعْرِفُ مَاذَا نَفْعَلُ حَيَالِهَا؟ هَذَا هُوَ الوَقْتُ الَّذِي فِيهِ يَتَكَلَّمُ مُعْظَمُنَا مَعَ اللهُ. وَأَنَا لَا أَحْذِرُ مِنْ هَذَا نَوْعٍ مِنَ الشَّرْكَةِ مَعَ اللهُ. أَشْكُرُ اللهُ لِمَا قَدْ يُسَمِّيهِ البَعْضُ، "لَا هَوْتُ العَاصِفَةَ – أَيِ لَاهُوتِ طَلَبِ اللهُ عِنْدَمَا تَهْبُّ عَوَاصِفُ الحَيَاةِ."

إِنَّ آيَةَ أَرْمَةِ أَوْ مُشْكِلةٍ تُوجِّهُنَا إِلَى اللهُ، تُعْتَبَرُ تَدَخُّلاً إلهيًّا وَفُرْصَةً رُوحِيَّةً يَنْمِي فِيهَا اللهُ إِيمَانَنَا. لَقَدْ إِتَّقَيْتُ بِأَشْخَاصٍ أَتَقِيَاءَ، يَقُولُونَ لَنَا أَنْ هَكَذَا أَنْوَاعٌ مِنَ التَّدَخُّلِ كَانَتْ أَرْوَعِ الأَحْدَاثِ فِي حَيَاتِهِمْ. فَالتَّوَاصُلُ الحَقِيقِيُّ مَعَ اللهُ الَّذِي يَخْتَبِرُهُ البَشَرُ، يَجْرِي عَادَةً فِي إِطَارِ أَرْمَةٍ أَوْ ضَيْقٍ عَظِيمٍ. إِنَّ جَوْهَرَ مَا يَقُولُهُ لَنَا دَاوُدُ فِي هَذَا المَزْمُورِ هُوَ: "عِنْدَمَا أَكُونُ فِي ضَيْقٍ، عِنْدَهَا تُصْبِحُ حَقِيقَةً وَاقِعَةً بِالنَّسْبَةِ لِي يَا رَبُّ. فَلَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِعْلاً إِلَيْكَ وَأَنَا تَكَلَّمْتُ إِلَيْكَ عِنْدَمَا كُنْتُ أَتَأَلَّمُ." (مزمور ٤: ١). إِنْ كُنْتُ مُتَأَلِّفاً مَعَ قِصَّةِ حَيَاةِ دَاوُدَ الَّتِي نَتَعَلَّمُهَا مِنَ الأَسْفَارِ التَّارِيخِيَّةِ، وَمِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ هَذِهِ، فَسَوْفَ تَجِدُ بِوَاسِطَةِ بَعْضِ الحَيَالِ المُقَدَّسِ، عِدَّةَ أَمَاكِنَ فِي رِحْلَتِهِ الرُّوحِيَّةِ، حَيْثُ صَلَّى دَاوُدُ مِثْلَ هَذَا المَزْمُورِ.

يُخْبِرُنَا دَاوُدُ أَنَّهُ إِكْتَشَفَ هَذِهِ الأُمُورَ، وَلَكِنَّهُ يُتَابِعُ بِإِخْبَارِنَا عَنِ البُعْدِ الحَيَوِيِّ لِلْمَحَادَثَةِ مَعَ اللهُ، عِنْدَمَا يَكْتُبُ قَائِلاً: "إِذْبَحُوا ذَبَائِحَ البِرِّ وَتَوَكَّلُوا عَلَى الرَّبِّ. كَثِيرُونَ يَقُولُونَ مِنْ يُرِينَا خَيْراً؟" (مزمور ٤: ٤ - ٦).



بإمكاننا أن نفترض أن داود يتصارع مع واحدٍ من تلك القرارات التي تواجهها عادةً. فبإمكانه أن يعمل الصواب، أو أن يعمل ما هو نافعٌ ومُناسبٌ لمصلحته. فإذا عمل الصواب، كان مُقنعاً أن العواقب ستكونُ مأساويةً. بالواقع، لم يكن بإمكانه أن يرى إمكانيةً للعيش، إذا عمل الصواب. وهكذا قرَّر أن يعمل النافع لمصلحته، وعندها طارَ عنه نومُه لأنه رَجُلٌ بحسب قلبِ الله، مُلتزمٌ بالمُطلقاتِ الأخلاقية، وبالاستقامةِ الأدبية. لهذا لم يعدُ قادراً على النوم. هذا هو إطارُ هذه المُحادثة التي قام بها داود مع نفسه ومع الله.

فبعدَ الإتصالِ بالله، وبقَلْبِهِ هو شخصياً، قرَّر أن يُضحيَ بأيِّ شيءٍ ينبغي أن يُضحيَ به، وأن يُتابعَ الوثوقَ بالرَّبِّ. أحدُ الدوافع التي حرَّكت قراره هو أنه كان مُحاطاً بأشخاص كانوا يتطلعونَ بِشوقٍ ليرَوْا إنساناً لديه ما يكفي من الإيمان والاستقامة ليعمل الصواب، وليس المنفعة أو المصلحة الذاتية، كما يفعل الجميع. إن كُنَّا سنسألُ داود السؤالَ الثاني الذي طرحه الله على آدم وحواء، "من أخبركم؟" لأجاب بالتأكيد أن الله جعله يعلم أنه عليه أن يُضحيَ بأيِّ شيءٍ لكي يعمل الصواب، وإثقاً بأنَّ الله سيحفظه.

سوف تجدُ عبرَ المزامير نماذجَ عن صلواتٍ مثل هذه الصلاة لداود، التي هي مُحادثاتٌ مع الله. فبينما تقرأُ في المزامير، لاحظْ أن نموذجَ كُتابِ المزامير هو غالباً إعلانُ تضرُّعاتهم لله، ومن ثمَّ أخذَ كلمةً من الله، التي تُشكِّلُ الجزءَ الخاصَّ بالله في مُحادثة الصلاة هذه. فالمزمورُ الحادي والعشرون هو نموذجٌ مميِّزٌ لمُحادثات الصلاة هذه.

إنَّ مُرثي المزامير همُ مُحَدِّثونَ بارعون، لأنَّهم يعرفونَ أن الجزءَ المُهمَّ من مُحادثة الصلاة هو عندما يتكلَّمُ الله إليهم جواباً على صلواتهم. هذا يجعلُ منهم يعرفونَ أن الله سَمِعَ صلواتهم، وأنهم إختبروا البُعدَ الأكثرَ أهميَّةً من مُحادثتهم معه، وأنه عليهم أن يعملوا ببساطةٍ ما جعلهم الله يعرفونَ أنه عليهم أن يعملوه. عندما تُصلي، هل أنتُ مُحَدِّثٌ جيِّدٌ مع الله؟ تُعطينا أم يسوع قاعدةً مُطلقةً لِنَتَّبِعَهَا عندما نسمعُ جزءَ الله من مُحادثتِهِ معنا. قالتُ مريمُ للخُدام في عرس قانا، حيثُ حوَّلَ يسوعُ الماءَ خمرًا: "مهنا قال لكم افعلوه."

## الفصل الخامس

### وَصَفَاتٌ لِلتَّوَاصُلِ مَعَ النَّاسِ

مؤخراً، كُنْتُ أَشَارُكَ مَعَكُمْ سِلْسِلَةً مِنَ الرَّسَائِلِ الَّتِي أَسَمَيْتُهَا، "وَصَفَاتٌ كِتَابِيَّةٌ لِلْمَشَاكِلِ". فِي سِلْسِلَةِ الرَّسَائِلِ هَذِهِ، اِكْتَشَفْنَا مَعاً أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا سِتَّةً وَسِتِّينَ سِيفِراً مُوحَىً بِهِ، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ لَدَيْنَا الْعَدِيدَ مِنَ الْمَشَاكِلِ. إِنْ كُنَّا سَنَفْتَحُ كَلِمَةَ اللَّهِ بِرُوحِ التَّوَقُّعِ وَالثِّقَةِ، سَوْفَ نَكْتَشِفُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ وَصَفَاتٍ عَمَلِيَّةً فِي كَلِمَتِهِ الْمُوحَى بِهَا، لِمُعَالَجَةِ مَشَاكِلِنَا.

فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ مِنَ الْمَشَاكِلِ، تَأْمَلْنَا مَعاً بِالْوَصَفَاتِ الْكِتَابِيَّةِ لِلْعَلَاقَاتِ الصَّعْبَةِ. هَلْ أَنْتِ تَعِيشُ فِي عِلَاقَةٍ صَّعْبَةٍ؟ أَوْ هَلْ تَجْعَلُ عِلَاقَتَكَ صَّعْبَةً مَعَ شَخْصٍ آخَرَ؟ لَدَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْكَثِيرِ لِيَقُولَهُ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ. ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَى مُشْكِلَةِ الْغَضَبِ الْإِيمِ. فَالْغَضَبُ هُوَ غَالِباً سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ صُعُوبَةِ الْعَلَاقَاتِ. وَلَقَدْ تَأْمَلْنَا بِوَصَفَاتِ الْغَضَبِ الْمُقَدَّسِ، أَوْ الْإِسْتِنْكَارِ الْبَارِ. فَهُنَاكَ أَوْقَاتٌ يَصِحُّ فِيهَا أَنْ نَغْضَبَ، بِحَسَبِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

يُوجَدُ خَيْطٌ مُتَسَلِّسٌ يَمْتَدُّ عَبْرَ هَذِهِ الْوَصَفَاتِ، وَهُوَ الْإِتِّصَالُ. فِي الْوَصْفَةِ الَّتِي أَظْهَرْتَ لَنَا كَيْفَ نَتَكَيَّفُ مَعَ الْعِلَاقَةِ الصَّعْبَةِ، تَأْمَلْنَا وَتَعَلَّمْنَا أَنَّهُ فِي الْعِلَاقَةِ الصَّعْبَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَحَافِظَ عَلَى ثِمَارِ الرُّوحِ، لِأَنَّ هَذَا يُبْقِي الْبَابَ مَفْتُوحاً أَمَامَ اللَّهِ لِيَعْمَلَ فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ. فَإِذَا تَرَكْنَا الْبَابَ مَفْتُوحاً أَمَامَ اللَّهِ، نَكْسَبُ سَمْعَ هَذَا الشَّخْصِ الصَّعْبِ الْمِرَاسِ، وَقَدْ يُعْطِينَا هَذَا الْفُرْصَةَ لِنُعَلِّمَ أَوْلَادَكَ الَّذِينَ "يُنَاقِضُونَ أَنْفُسَهُمْ". بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُعَلِّمَهُمْ، بِمَا يُسَمَّى أحياناً "لِحِظَّةِ التَّعَلُّمِ". وَبِإِمْكَانِنَا أَنْ نَضَعُ أَمَامَهُمْ حَقِيقَةً مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ تَسْتطِيعُ أَنْ تُحَرِّرَهُمْ (٢ تِيمُوثَاوُسَ ٢: ٢٣-٢٣).

تُوجِّهُنَا هَذِهِ الْوَصَفَاتُ إِلَى التَّوَاصُلِ خِلَالَ إِجْتِيَازِنَا عَبْرَ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ الصَّعْبَةِ. وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْغَضَبِ، سِوَاءِ أَكَانَ غَضَباً مُقَدَّساً أَمْ إِثْماً، فَقَدْ شَارَكَتُ مَعَكُمْ أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً فِي آيَةِ عِلَاقَةٍ هِيَ التَّالِيَةُ: "لَقَدْ كُنْتُ مُخْطِئاً، أَنَا آسِيفٌ، هَلْ تُسَامِحْنِي؟" أَوْ، "لَقَدْ كُنْتُ أَنْتِ مُخْطِئاً، وَلَقَدْ جَرَحْتَنِي، وَلَكِنِّي أُسَامِحُكَ." هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أَنْقَذَتْ الْعَدِيدَ مِنَ الزَّيْجَاتِ وَالْأَنْوَاعِ الْآخَرَى مِنَ الْعَلَاقَاتِ. وَغِيَابُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَدَّى إِلَى خَرَابِ الْكَثِيرِ مِنَ الْعَلَاقَاتِ وَتَدْمِيرِهَا.

هُنَاكَ أَشْخَاصٌ لَنْ يَقُولُوا أَبَداً أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ، وَلَا يَتَلَفَّظُونَ بِعِبَارَةِ "أَنَا آسِيفٌ". فَبِالنِّسْبَةِ لَهُمْ، يَفْتَرِضُ هَذَا الْقَوْلُ أَنَّهُمْ عَلَى خَطَأٍ، بَيْنَمَا هُمْ يَعْتَوِدُونَ أَنَّهُمْ لَا يُخْطِئُونَ أَبَداً. وَلَنْ يَقُولُوا أَبَداً، "أَتُسَامِحْنِي؟" فَعِنْدَمَا يَرُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، يَضَعُونَهَا تَحْتَ خَائَةِ الشَّخْصِ الْآخَرَ فِي عِلَاقَتِهِمْ. وَلَنْ يَقُولُوا أَبَداً مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَهَكَذَا تَنْفَسِحُ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ.

هذه الكلمات البسيطة هي: "كُنْتُ مُخْطِئاً، أنا آسِف، أُتَسَمِحُنِي، أو: لَقَدْ كُنْتُ أَنْتَ مُخْطِئاً (سواءً أَقْبَلْتَ بِذَلِكَ أَمْ لَا)، وَلَقَدْ أَدَيْتَنِي، وَلِكِنِّي أُسَامِحُكَ." هكذا كلماتٍ أَنْفَذْتَ زِيَجَاتٍ وَعِلَاقَاتٍ كَثِيرَةً. وَقَوْلٌ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَوْ عَدَمُ قَوْلِهَا هُوَ قَضِيَّةٌ إِيْتِصَالٍ.

### مَا هُوَ الْإِيْتِصَالُ؟

أَرَادَ أَسْتَاذُ جَامِعِي أَنْ يَسْتَخْدِمَ دَرَساً مَوْضُوعِيّاً غَيْرَ إِيْتِصَالِيٍّ، لِيُعَلِّمَ صَفَّهُ عَنِ مَبَادِيِ الْإِيْتِصَالِ. فَتَعَمَّدَ الْوُصُولَ مُتَأَخِّرًا إِلَى صَفِّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، وَكَمَا تَوَقَّعَ، وَجَدَ تَلَامِيذَهُ فِي فَوْضَى عَارِمَةٍ وَمُشَادَاةٍ حَادَّةٍ. فَتَحَرَّكَ بِسُرْعَةٍ إِلَى مُقَدِّمَةِ الصَّفِّ، وَضَرَبَ بِكَفِّهِ بِقُوَّةٍ عَلَى طَاوِلَةٍ مَكْتَبِهِ. وَصَرَخَ قَائِلًا، "أُرِيدُ فَوْضَى عَارِمَةٍ!" مُبَاشِرَةً بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ بِكَفِّهِ عَلَى الطَاوِلَةِ، بِصَوْتٍ يُشْبِهُ طَلْقَةَ الْمُسَدَّسِ، فَجَاءَتْ صَمَتِ التَّلَامِيذِ صَمْتًا مُطَبَقًا.

لَقَدْ قَدَّمَ فِكْرَتَهُ وَشَرَحَ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّ الْخُبْرَاءَ يَتَّفِقُونَ بِقَوْلِهِمْ لَنَا أَنَّ ٧% فَقَطْ مِمَّا نَتَوَاصَلُ بِهِ مَعَ الْآخَرِينَ يُنْقَلُ مِنْ خِلَالِ الْكَلِمَاتِ. وَ ٤٤% يُنْقَلُ مِنْ خِلَالِ حَرَكَاتِ الْجَسَدِ، وَ ٤٩% يُنْقَلُ مِنْ خِلَالِ نَبْرَاتِ التَّشْدِيدِ الَّتِي نَضَعُهَا عَلَى الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَنْطِقُ بِهَا. عَلَّمَ هَذَا الْأَسْتَاذُ تَلَامِيذَهُ أَنَّ مَا قَالَهُ لَهُمْ – "أُرِيدُ فَوْضَى عَارِمَةٍ!" – كَانَ فَقَطْ ٧% مِنَ الرَّسَالَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا لَهُمْ. وَ ٩٣% الْبَاقِيَّةِ مِنْ رِسَالَتِهِ تَمَّ التَّوَاصُلُ بِهَا مِنْ خِلَالِ حَرَكَاتِهِ الْغَاضِبَةِ وَصَوْتِهِ الْمُرْتَفِعِ، وَاللَّذَانَ كِلَاهُمَا نَقَلَا رِسَالَةً نَقُولُ، "تَوَقَّفُوا حَالًا عَنِ الْكَلَامِ."

إِنَّ مَبَادِيِ الْإِيْتِصَالِ هَذِهِ بَعَيْنِهَا تَصِحُّ بِحِذَائِهَا فِي الزَّوْجِ، أَوْ فِي آيَةِ عِلَاقَةٍ أُخْرَى. هُنَاكَ أَزْوَاجٌ كَثِيرُونَ يُخْبِرُونَ رَاعِي كَنِيسَتِهِمْ أَوْ مُرْشِدَهُمُ الزَّوْجِيَّ قَائِلِينَ، "نَحْنُ لَا نَتَوَاصَلُ. نَحْنُ لَا نُكَلِّمُ بَعْضُنَا بَعْضًا بَتَاتًا." وَلَكِنْ بِنَاءً عَلَى الدَّرْسِ الَّتِي تَعَلَّمْنَا مِنْ الْأَسْتَاذِ وَالتَّلَامِيذِ، بِإِمْكَانِكُمْ الْجَزْمَ أَنَّ الزَّوْجَ وَالزَّوْجَةَ يَتَوَاصَلَانِ لَا مُحَالَةً، حَتَّى عِنْدَمَا يَكْفَانِ عَنِ الْكَلَامِ بَتَاتًا. وَتَوَاصَلُهَا يَكْمُنُ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَتَوَاصَلَانِ بِهَا، وَبِمَاذَا يَتَوَاصَلَانِ، وَلَكِنَّ الْمُحْتَمَّ هُوَ أَنَّ الزَّوْجَ وَالزَّوْجَةَ يَتَوَاصَلَانِ دَائِمًا بِشَكْلِ عَامٍ.

يُعْرِفُ الْقَامُوسُ التَّوَاصُلَ بِكُونِهِ "إِعْطَاءً وَأَخْذَ الْمَعْلُومَاتِ، الرَّسَائِلِ، وَالْأَفْكَارِ، وَذَلِكَ عَنِ طَرِيقِ الْكَلَامِ، الْحَرَكَاتِ، أَوْ وَسَائِلِ أُخْرَى." يَحْدُثُ الْإِيْتِصَالُ فِي الزَّوْجِ أَوْ فِي الْعِلَاقَاتِ الْأُخْرَى، مِنْ خِلَالِ هَذِهِ "الْوَسَائِلِ الْأُخْرَى." فَبِإِمْكَانِ إِيْتِسَامَةٍ أَنْ تُعْبَّرَ عَنْ مُجَلَّدَاتٍ مِنَ التَّفَكِيرِ الْإِيْتِصَالِيِّ وَالْعَوَاطِفِ الْجَيَّاشَةِ. وَتَجَهُّمٌ أَوْ إِزْدِرَاءٌ، يُمَكِّنُ أَنْ يُعْبَّرَ عَنِ مُجَلَّدَاتٍ مِنَ الْغَضَبِ وَالسُّخْرِيَّةِ. فَعِنْدَمَا يُغْلِقُ الرَّجُلُ الْبَابَ بِعُنْفٍ، أَوْ عِنْدَمَا يَضْرِبُ الْجِدَارَ بِقَبْضَتِهِ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ وَسَائِلٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِنَ الْإِيْتِصَالِ؟

عندما يتوقَّف الرَّجُلُ وَالْمَرَأَةُ عَنِ التَّكَلُّمِ مَعًا، وَعِنْدَمَا يُعَامِلَانِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا بِإِحْتِقَارٍ صَامِتٍ، أَلَا يَكُونَانِ يَتَوَاصِلَانِ؟ سَمِعْتُ مَرَّةً إِمْرَأَةً حَكِيمَةً تَقُولُ، "عِنْدَمَا يَصْمُتُ زَوْجِي، عَلَيْكَ أَنْ تَتَنَصَّتَ لِتَصْغِي بَرَوِيَّةٍ لَمَا يَقُولُهُ."

## أضئوا الأنوار

بينما تتكاثر البكتيريا في الظلام، معظم البكتيريا لا تستطيع العيش في النور. فإذا أراد زوج وزوجة أن يبني علاقة زوجية وطيدة ويحافظا عليها، يمكن النظر إلى تواصلهما الجيد وكأنه نور ساطع يسطانه على البكتيريا التي تُشكِّلُ عقبةً في تواصلهما. وعندما يفعلان ذلك، معظم هذه البكتيريا سوف تموت، وبحسن التواصل، سيتمكنهما التعامل مع البكتيريا التي لم تمت. يصح هذا المبدأ على كلِّ العلاقات.

بناءً على هذا التعريف للإتصال أو التواصل، هناك ملاحظة أخرى بإمكانني تقديمها هي أنه يوجد دائماً بعدان للإتصال. يُفِيدُ تعريفي العملي للإتصال أنه، "عطاء وأخذ المعلومات، الرسائل، والأفكار." يتبع أن التواصل في العلاقة الزوجية، أو في أية علاقة أخرى، فيه مجال للعطاء وآخر للأخذ. بحسب هذا التعريف، بإمكانني أيضاً الإستنتاج أنه يوجد بعدان لمشاكل التواصل في العلاقات. أحياناً يكون مصدر المشكلة هو المعطي، وأحياناً أخرى يكون مصدر المشكلة هو الشخص الذي يتلقى الإتصال.

وصفت إحدى النساء مشكلة الإتصال في زواجها كالتالي: "وكان زوجي يعيش على جزيرة سرية، وأنا أدور حول هذه الجزيرة منذ عشرين عاماً، محاولة إيجاد مرفأ لأركن فيه سفينتي، ولكن بدون جدوى."

تصور أنك أنت وزوجتك تعيشان بالفعل على جزيرتين منفصلتين، وطريقة تواصلكما الوحيدة هي بواسطة الجهاز اللاسلكي. فلكي تتواصلوا معاً، ينبغي أن يحدث أمران؛ على واحد منكم أن يفتح جهازه اللاسلكي ويرسل رسالة للشخص الآخر. والزوج الآخر الذي ترسل إليه الرسالة، على أن يقرر أن يفتح جهاز الإستقبال خاصته، وأن يفنئش على الموجة الصحيحة، فيتلقى تلك الرسالة.

كما تعلمنا في الفصل الأخير، حتى التواصل الذي لدينا إياه مع الله له بعدان: العطاء والأخذ. التواصل في الزواج أو في أية علاقة أخرى له بعدان مميَّزان، كما ولو كنتم كزوجين كلُّ منكم على جزيرة منفصلاً عن الآخر.

أحياناً، يكون مصدر مشكلة التواصل في الزواج هو أن المرسل لا يدير جهازه اللاسلكي ولا يرسل رسالة. وعندما يفعل هذا، تفسد الرسالة وتصبح مشوشة. قالت امرأة مرة عن زوجها، "أنا أعرف أنك تظن أنك فهمت ما قلتُه أنا، ولكن ما أنت بحاجة أن تعرفه هو

أَنْ مَا قُلْتُهُ أَنَا هُوَ لَيْسَ مَا قَصْدْتُهُ. " هُنَاكَ أَوْقَاتٌ أَيْضاً يَكُونُ فِيهَا جِهَارُ الْإِسْتِقْبَالِ مُغْلَقاً، أَوْ غَيْرَ مَوْضُوعٍ عَلَى الْمَوْجَةِ الصَّحِيحَةِ.

عبر أكثر من عشرة عقود قضيتها في خدمتي كراعي كنيسة، كان يُجيبني الأزواج بينما أسألهم عن تواصلهم، فيقولون أنه ليس بينهم تواصلٌ جيد. وبما أن الأشخاص الذي لا يتكلمون كثيراً مع بعضهم نادراً ما يتزوجون، معظم هؤلاء الأزواج أجابوا على سُوالي بقولهم لي أنه كان لديهم إتصالٌ جيدٌ جداً عندما تزوجوا في بداية الأمر.

وعندما إتفقنا أنا وشريكين زوجيين على أنه من الواضح أن شيئاً ما حدث ودمرَ خطوطَ تواصلهما، أعطيتهما فرضاً منزلياً. طلبتُ منهما أن يكتبتا لائحةً بكلِّ الأسباب التي يعتقدان أنها أدت إلى تضررِ تواصلهما. من هذه اللوائح، إكتشفتُ عارضين واضحين ونموذجيين لمشكلة التواصل في الزواج. وهذان العارضان كانا أن أحدهما توقفت عن الكلام، والعارض الآخر كان أن أحدهما أو الآخر كان يغضب عند محاولتهما التواصل.

إن كانت مشكلة تواصلهما أن أحدهما أو كلاهما توقفا عن الكلام، طلبتُ من الشريك الصامت أن يكتب لائحةً بكلِّ الأسباب التي من أجلها توقفت عن التحدث. إن كانت المشكلة أن أحدهما أو كلاهما كانا يغضبان عندما يحاولان التحدث مع بعضهما كنتُ أطلبُ من الشخص الغاضب أن يكتب لائحةً بكلِّ الأسباب التي جعلت التواصل بينهما يُسبب الغضب لهما.

أخبرتُهما أن أسباب توقفيهما عن الكلام مع بعضهما، أو أنهما كانا يغضبان عند محاولتهما التواصل، كانت تُسمى هذه الأسباب بمعطلات حلقة الإتصال. وهي تشبه قطعة كهربائية تقطع التيار الكهربائي عندما يزداد تحميل الشبكة، وينشأ خطرٌ بإندلاع النار أو حدوث أذى معيناً للأجهزة الكهربائية في المنازل والأبنية. وطلبتُ منهما أن لا يناقشا لوائهما بمعطلات حلقة الإتصال، إلى أن نناقشها معاً في جلستنا المقبلة.

وعندما ناقشتُ معهما "معطلات حلقة الإتصال" هذه، واحدة بعد الأخرى، شجعتُهما على التفكير بما يظنانه مطلوباً لترميم حلقات الإتصال المقطوعة هذه. ولقد ركزت هذه العملية لي ولألئك الأزواج على الحقيقة التي لا تُدحض أن التواصل الجيد هو وضعيته عطاءً وأخذ. كانت "معطلات حلقات الإتصال" هذه غالباً عن كيف يتم استقبال إتصال أحد الشريكين من قبل الشريك الآخر.

مثلاً، كتبت زوجة مرة، "عدم الإستماع" كسبب أدى إلى توقفيها عن الكلام. قالت أنها عندما كانت تقول لزوجها، "لقد تكلم الطفل الجديد ببعض الكلمات اليوم"، أدركت أن زوجها أدار لها الأذن الطرشاء. وبما أنه من غير المفترض بالتواصل أن يكون حواراً مع الذات أو

مؤنولوج، توقفت الزوجة عن الكلام. وقبل أن تُجهش بالبكاء، أخبرتني أنا وزوجها أن عدم إصغاء زوجها لها كان يعني أنه لم يكن مهتماً؛ وكونه غير مهتم كان يعني أنه لم يشعر بالالتزام، وعدم شعوره بالالتزام تجاهها وتجاه الطفل يعني أنه لم يكن يحبها ولم يكن يحب الطفل!

ذكر زوج أنه عندما كان يُشارك أمراً كان مهتماً بالنسبة له، مثل فكرة ذهابه ليدرس في كلية اللاهوت، كانت زوجته تضحك عليه. عندها صرّح أنه لن يُشارك بمشاعر قلبه العميقة مع زوجته مجدداً.

عندما تفتح قلبك أمام شخص آخر، وكأنك وضعت قلبك بين يديه. وعندما يُمسك الشخص الأخر بقلبك بين يديه، بإمكانه أن يعمل به ما يشاء. بإمكانه أن يعصده؛ بإمكانه أن يطرده أرضاً ويُدوس عليه؛ أو بإمكانه أن يزدري به. أسوأ شيء بإمكانه أن يفعله بقلبك هو أن يتجاهله، لأن نقيض المحبة ليس الكراهية، بل اللامبالاة أو التجاهل.

أن تتجاهل شخصاً آخر هو نقيض محبة هذا الشخص الآخر. من الممكن أن تتجاوب مع محاولات زوجتك بالتواصل معك، بمجرد تجاهل عواطفها القلبية للتواصل معك. أنت تتجاهل شريكة حياتك الزوجية عندما تحاول زوجتك أن تتواصل معك وأنت لا تصغي إليها.

كتب أحد الأزواج أن زوجته كانت "سليطة اللسان". بالنسبة له، عندما جعل من نفسه ضعيفاً قابلاً للكسر، بمحاولته أن يتواصل معها على مستوى عميق، كانت غالباً تستغل استسلامه فتطعنه في الظهر. ولقد وجدت هذا مثيراً للاهتمام أنه في جلسة الإرشاد نفسها تلك، ذكرت زوجته على لائحها لمعطلات حلقات الإتصال أن زوجها كان "مجرماً في كلامه". وكانت تخاف أن تحدّثه عن أمور عديدة، لأنه كان "سيغتاها في كلامه" إذا حاولت أن تخبره بما كان يحتاج أن يسمعه، ولو لم يكن يحب أن يسمعه.

هناك نظرة مشتركة حيال ديناميكيات الإتصال بين الزوج والزوجة، بين كل هذه الأمثلة. فالإتصال ليس فقط الطريقة التي يُقدّم فيها؛ الإتصال في العلاقة الزوجية، أو في أية علاقة أخرى، يتعلّق أيضاً بالطريقة التي يتلقّى فيها هذا الإتصال من الشخص الآخر. في هذين المثالين، الطريقة التي تلقى بها أحد الشريكين الإتصال من الشريك الزوجي الآخر، كانت من معطلات حلقة الإتصال. إذ تُطبّق وصفات كتابية على التواصل في علاقاتنا، تُرينا هذه الحقيقة الأساسية عن الإتصال في الحياة أننا نحتاج أن ندرّب أنفسنا لنصبح متلقين جيدين، أو مُستمعين جيدين.

## ظاهرة السُّلْحُفَاةِ

بينما كُنْتُ أناقِشُ "مُعْطَلَاتِ حَلْقَةِ الْإِتِّصَالِ" هذه مَعَ الشَّرَكَاءِ الزَّوْجِيِّينَ، قُلْتُ للكثيرينَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَصَرَّفُونَ كزَوْجِينَ مِنَ السَّلَاحِفِ. فَإِذَا أَسَأَتْ مُعَامَلَةَ السُّلْحُفَاةِ، تَنَسَّجِبُ هذه السُّلْحُفَاةُ إِلَى دَاخِلِ حُجْرَتِهَا العَظْمِيَّةِ، وَتَخْتَفِي عَنِ الأَنْظَارِ لوقتِ طَوِيلٍ. عِنْدَمَا لَا يُسْتَقْبَلُ إِتِّصَالُنَا بِشَكْلِ مُلَائِمٍ، نَنَسَّجِبُ مِثْلَ السُّلْحُفَاةِ إِلَى دَاخِلِ حُجْرَتِنَا العَظْمِيَّةِ. كَثِيرُونَ مِنَ الشَّرَكَاءِ الزَّوْجِيِّينَ يَعِيشُونَ مَعاً مِثْلَ سُلْحُفَاتَيْنِ، وَيَحْتَاجَانِ أَنْ يَفْهَمَا أَنَّ التَّوَاصُلَ لَهُ مَجَالَانِ أَوْ بُعْدَانِ: مَجَالُ العَطَاءِ وَمَجَالُ الأَخْذِ.

إِنَّ كُلاًّ مِنَ بَعْدِي الْإِتِّصَالِ هَذَيْنِ هُمَا عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَهْمِيَّةِ وَيَنْبَغِي الإِعْتِرَافُ بِهِمَا، وَتَقْدِيرُهُمَا، وَالتَّعَامُلُ مَعَهُمَا، إِذَا أَرَادَ الشَّرَكَاءِ الزَّوْجِيُّونَ، أَوْ المُؤْمِنُونَ فِي أَيَّةِ عِلَاقَةٍ، أَنْ تَكُونَ لَدَيْهِمُ الوَسِيلَةُ الَّتِي تَمَكِّنُهُمْ مِنَ المُحَافَظَةِ عَلَى وَحْدَتِهِمُ فِي المَسِيحِ.

## ظاهرة النَّيِّصِ

هُنَاكَ مَقْطُوعَةٌ شَعْرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ عَنِ نَيْصِينَ يُحَاوِلَانِ التَّعْبِيرَ عَنِ حُبِّهِمَا لِبَعْضِهِمَا البَعْضَ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ. عِنْدَمَا يُطْرَحُ السُّؤَالُ، "كَيْفَ يَغْمُرُ النَّيِّاصُ بَعْضُهُمَا البَعْضَ؟" يَكُونُ الجَوَابُ، "بِحَذَرٍ شَدِيدٍ!" فَكِلَاهُمَا مُصَمِّمَانِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ مَحَبَّتِهِمَا وَعَظْفِهِمَا لِبَعْضِهِمَا البَعْضَ، وَلَكِنْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُحَاوِلَانِ الإِقْتِرَابَ مِنْ بَعْضِهِمَا البَعْضَ، يعلِّقَانِ بِأَشْوَاكِهِمَا.

إِنَّ المَعْنَى الجَوْهَرِيَّ مِنَ تَطْبِيقِ هَذَا الشَّعْرِ وَاضِحٌ جِدًّا. فَعِنْدَمَا نُحَاوِلُ أَنْ نَتَوَاصَلَ عَلَى مُسْتَوَى حَمِيمٍ كزَوْجٍ وَزَوْجَةٍ، أَوْ كَمُؤْمِنِينَ، نَعْلَقُ أحياناً بِأَشْوَاكِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا يَتَلَقَّى الشَّرِيكُ الزَّوْجِيُّ أَوْ المُؤْمِنُ الأَخْرُ مَحَاوِلَاتِنَا لِلإِنْفِتَاحِ وَالتَّوَاصُلِ. إِنَّ تَطْبِيقَ الإِسْتِعَارَةِ الجَمِيلَةَ لِهَذَا الشَّعْرِ هُوَ أَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَنَسَّجِبُ وَلَا نُبْعِدَ أَنْفُسَنَا عَنِ عِلَاقَاتِنَا، كَوْنَنَا تَشَوَّكْنَا بِطَرِيقَةٍ تَلْقَى الأَخْرِينَ لِمَحَاوِلَاتِنَا التَّعْبِيرِ عَنِ الْإِتِّصَالِ. لِهَذَا يَتَطَلَّبُ الْإِتِّصَالُ الشَّجَاعَةَ.

## بِالإِخْتِصَارِ

التَّوَاصُلُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُقَالُ، بَلْ مَا يُسْمَعُ.

التَّوَاصُلُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُقَالُ، بَلْ مَا يُشْعَرُ بِهِ.

التَّوَاصُلُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُقَالُ، بَلْ مَا يُرِيدُ النَّاسُ سَمَاعَهُ.

التَّوَاصُلُ لَيْسَ فَقَطْ مَا يُقَالُ، بَلْ هُوَ جُمْلَةٌ مَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالكَلَامِ وَالحَرَكَاتِ وَالوَسَائِلِ الأُخْرَى.

## القاعدة الذهبية للاتصال

في عظته على الجبل، كان جوهراً الحقيقة التي علّمها يسوع عن العلاقات يُلخّصُ كالتالي: "كُلُّ ما تُريدون أن يفعلَ الناسُ بكم، هكذا إفعَلوا أنتم أيضاً بهم." (متى ٧: ١٢) يُعرّف تعليم يسوع هذا بالقاعدة الذهبية.

بمعنى ما، كُُلُّ الأمثلة التي وصفناها عن الشركاءِ الرَّوحيين الذين يتلقون الاتصال من أزواجهنَّ أو زوجاتهم بطريقةٍ غير صحيحة، يُمكن رَدُّها إلى مصدرٍ واحدٍ والتعبيرُ عنها بكلمةٍ واحدةٍ – الأنايية. تنطبقُ هذه الحقيقةُ نفسها على التواصل الذي تتمتع به مع إخوتنا وأخواتنا في المسيح، وفي كُُلِّ علاقاتنا في هذا العالم. القاعدة الذهبية هي الحلُّ الذي قدّمه يسوع لمشاكلِ التواصل التي نواجهها في كُُلِّ علاقاتنا، صعبةٌ كانت أم سهلةً.

عندما تُصبحُ القضيةُ جديةً حيالَ تطبيق القاعدة الذهبية التي قدّمها يسوع، سوف تكتشفُ أنّك قبل أن تتمكنَ من تطبيق تعليم يسوع الموحّد هذا عن العلاقات، يتوجبُ عليك أولاً أن تضعَ نفسك في مكان ذلك الشخص الآخر.

مثلاً، لكي تُصبحَ مُتلقياً جيداً بينما تتواصلُ مع زوجتك، أو مع زوجك، أو مع مؤمنٍ آخر، أو في علاقةٍ اجتماعية، ضعَ نفسك مكانَ الشخص الذي يحاولُ التواصلَ معك. إسألْ نفسك، "إن كنتُ أنا ذلك الشخص الآخر، وإن كنتُ أُحاولُ قولَ ما يُحاولُ قوله لي الآن، كيف كنتُ أتمنى أن يتلقَى ما أكلمهُ به؟" عندما تعرفُ الجوابَ على هذا السؤال، إعملْ به. بكلِّ بساطةٍ، إعملْ به، لأنَّ الجوابَ على هذا السؤال هو القاعدة الذهبية للتواصل في العلاقات.

إن كنتُ تُدربُ نفسك لتفكرَ بهذه الطريقة، سوف تُدركُ أنّك سوف تُريدهم أن يتلقوا تواصلك بطريقةٍ ملائمة. بالنسبة للمبتدئين، سوف تُريدهم أن يُصغوا إلى أن يسمَعوا حقاً ما كنتُ تُحاولُ قوله. من الواضح أنّك لا تُريدُ أن تتلقَى زوجتك أو أي شخصٍ آخر تواصلك أو كلامك معهم بطريقةٍ غير صحيحة، كما وصفنا في الأمثلة السابقة. ولن ترغبَ بأن يكونَ الذي يتلقونَ تواصلك مُزدرينَ أو مُستعدينَ للشجار، أو سليطي اللسان. ولن ترغبَ بأن تقومَ زوجتك أو أي مؤمنٍ بإعطائك الأذن الطرشاء، لكونهم غير مهتمين بما ستقولهُ، لأنهم لا يهتمونَ بما ستقولهُ، لأنهم لا يحبونك.

بينما تتعرفُ على مُعطيات حلقة الاتصال الخاصة بك، وتنامَلُ بما يتطلّبهُ إسترجاعُ الحلقاتِ المكسورة في تواصلك مع الآخرين، دَع قاعدة يسوع الذهبية تقودك. إن كنتُ جاداً بحقٍ بتطبيق هذا المبدأ العظيم، فإنَّ مبدأ العلاقات الأدبية المُلخّص الذي يُقدّمهُ يسوع، سيتوجبُ عليك أن تضعَ الآخرين في مركزِ إهتماماتك. ولكي يكونَ الآخرونَ في مركزِ إهتماماتك، ينبغي أن تضعَ اللهَ والمسيحَ والروحَ القدسَ في مركزِ إهتماماتك، لأنَّ محورَ



إهتماماتك حول الآخرين هو أمرٌ مُناقضٌ لطبيعتك البشريّة. عندما تُقرّر أن تلتزم بأن تضع الآخرين بدل نفسك، تذكر أنك تُحاول المُستحيل، إلا إن كنت تُعبر عن ثمر الروح القدس (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣).

هناك تعليم آخر لیسوع يُتمّم ويكمل القاعدة الذهبية. هذا التعليم ينبغي أن يُطبّق أيضاً على تواصلنا مع شركائنا الزوجيين، وفي سائر علاقاتنا. يُخبرنا بولس أن يسوع قال، "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أعمال ٢٠: ٣٥).

بما أن التواصل هو وضع عطاءٍ وأخذ، علينا أن نتأمل بحذرٍ وبروح الصلاة بالتواصل الذي يحتاج أن يسمعه الذين نتعامل معهم. ثم، علينا أن نأخذ المبادرة ونساهم بهذا التواصل كعطيّة منا لهم. بحسب قول يسوع، سوف نتمتع بالمزيد من السعادة والبركة عندما نُعطي النوع الصحيح من التواصل، ممّا كنّا سنختبره بمجرد التفاعل مع تواصل الآخرين معنا. (أفسس ٤: ٢١-٢٥، ٢٩، ٣١، ٣٢).

### مبادئ بولس في الإتصال

بينما نتأمل بنوعيّة التواصل الذي ينبغي أن نُقدّمه كهبّة للآخرين، علينا أن نتأمل ببعض الكلمات التي كتبها بولس للأفسسيين، عندما علّمهم أن يكونوا قنوات لتوصيل نعمة الله في كلّ مرة يفتحون فيها أفواههم. لقد شجّعهم بولس على استخدام الكلمات التي تبني، أو على بُنيان الشخص الذي يتلقّى إتصالهم. ولقد شجّعهم أيضاً على لا يدعوا أيّة كلمة فاسدة تخرج من أفواههم، ولا ما يؤذي الذين يُكلمونهم (أفسس ٤: ٢٩).

هناك بضع مقاطع عميقة في رسالة بولس الرسول الثانية إلى الكورنثوسيين، التي تُبرر البُعدين الأكثر أهميّةً وحيويّةً في تواصل العطاء والأخذ. مثلاً، كتب بولس يقول ما معناه، "لقد كلّمناكم بصراحةٍ وحريةٍ أيّها الكورنثوسيون، وفتحنا قلوبنا بإتساع لكم. ونحن لا نحسب عنكم عطفنا، ولكن هذا ما تفعلونه أنتم. وبناءً على مبدأ المُعاملة بالمثل – أتكلّم كما لأولادي- إفتحوا أنتم أيضاً قلوبكم لنا." (٢ كورنثوس ٦: ١١-١٣).

لكي نفهم ونلخص هذا المقطع الكتابي، يقول بولس للكورنثوسيين، ولك ولي تطبيقياً، أنه وكأن لنا أبواب إتصال على قلوبنا. يقول بولس للكورنثوسيين أن باب قلبه مفتوح على مصرعيه تجاههم، أمّا أبواب قلوبهم فمغلقة تجاهه، ولقد أداروا له القفا.

بالنسبة للرجل والمرأة اللذين جمعهما الله وجعلهما واحداً، وبالنسبة لنا كمؤمنين ينبغي أن يكونوا واحداً في المسيح، يريد الله أن تكون أبواب قلوبنا مفتوحة دائماً. للأسف، الحقيقة هي أننا نقضي الكثير من وقتنا كشركاء زوجيين، وكإخوة وأخوات في المسيح، ونحن ندير ظهورنا لبعضنا البعض، وأبواب قلوبنا مغلقة تجاه بعضنا البعض.

يَقُولُ بُولُسُ أَيْضاً: "لَأَنَّهُ إِنْ كُنْتُ أَحْزَنُكُمْ أَنَا فَمَنْ هُوَ الَّذِي يُفَرِّحُنِي إِلَّا الَّذِي أَحْزَنْتُهُ؟" (٢ كُورِنْثُوسَ ٢: ٢) هَذَا الْمَقْطَعُ يُمَكِّنُ أَيْضاً أَنْ يُطَبَّقَ عَلَى مَجَالِي تَوَاصُلِ الْعَطَاءِ وَالْأَخْذِ فِي عِلَاقَةٍ مَا. إِنْ كُنْتُ تُعْطِي وَتَتَلَقَى التَّوَاصُلَ بِاسْتِمْرَارٍ، بِطَرِيقَةٍ تُحْبِطُ الْآخَرِينَ، فَمَنْ تَنْظُنُّهُ سِيرْفَعُ مَعْنَوِيَّاتِكَ؟ قَدْ تَقْضِي ثُلْثِي حَيَاتِكَ مَعَ زَوْجَتِكَ، وَسَوْفَ تَقْضِي الْأَبَدِيَّةَ مَعَ إِخْوَتِكَ وَأَخَوَاتِكَ فِي الرَّبِّ. مِنْ هُنَا إِلَى الْأَبَدِيَّةِ، مِنْ الْجَيِّدِ أَنْ تَعْمَلَ عَلَى تَوَاصُلِ جَيِّدٍ مَعَ أَوْلَادِكَ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ الْآنَ وَسَوْفَ تُحِبُّهُمْ إِلَى الْأَبَدِ.

إِنَّ شَرِيكَةَ حَيَاتِكَ وَإِخْوَتَكَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِمْ مَسْئُولِيَّةَ التَّوَاصُلِ مَعَكَ بِطَرِيقَةٍ تُسَاهِمُ بِسَعَادَتِكَ الشَّخْصِيَّةِ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْ بُنْيَانِهِمْ.

يُشَارِكُ بُولُسُ بِنَظَرَةٍ أُخْرَى عَنِ التَّوَاصُلِ مَعَنَا، وَالتِّي يَنْبَغِي أَنْ تُطَبَّقَ فِي تَوَاصُلِنَا كَمَا مُؤْمِنِينَ مَعَ شُرَكَائِنَا الزَّوْجِيِّينَ. يُخْبِرُ بُولُسُ هَوْلَاءَ الْكُورِنْثُوسِيِّينَ أَنَّهُ رَفَضَ خَفَايَا الْخِزْيِ، وَيَرْفُضُ أَنْ يَسْلُكَ فِي مَكْرٍ فِي تَوَاصُلِهِ مَعَهُمْ (٢ كُورِنْثُوسَ ٤: ٢). وَيَحْضُرُهُمْ أَنْ يَعْمَلَ الشَّيْءَ ذَاتَهُ فِي تَوَاصُلِهِمْ مَعَهُ.

هُنَا، يَنْبَغِي أَنْ أذْكَرَ كَلِمَةَ تَحْذِيرٍ. مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَسْحَقَ زَوْجَتَكَ، أَوْ أَيَّ مُؤْمِنٍ آخَرَ بِاسْمِ الْإِسْتِقَامَةِ، بَيْنَمَا أَنْتَ تَتَعَامَلُ مَعَ مُشْكَلَةِ ذَنْبِكَ الشَّخْصِيَّةِ. هُنَا نَجِدُ مَثَلًا: سَأَلْنَا مَرَّةً زَوْجَانِ إِنْ كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَكَلَّمَا بِالْحَقِيقَةِ بِمَحَبَّةٍ، وَأَنْ يُخْبِرَا ابْنَتَهُمَا أَنَّهَا قَدْ خُيِّلَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَنْزَوْجَا. أَجَبْتُ بِسُؤَالِهِمَا عَمَّا إِذَا كَانَ يُلْبِيَانِ حَاجَةَ ابْنَتَهُمَا بِمَعْرِفَةِ أَمْرِ مَا، أَمْ إِنْ كَانَ يُعَالِجَانِ ذَنْبَهُمَا الشَّخْصِيَّةَ. بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَعْمَلَ الْأَمْرَ نَفْسَهُ مَعَ شَرِيكِنَا الزَّوْجِيِّ أَوْ الْمُؤْمِنِ الْآخَرَ بِاسْمِ الْإِسْتِقَامَةِ أَوْ الصِّدْقِ.

هُنَاكَ أَوْقَاتٌ يَتَوَجَّبُ فِيهَا عَلَيْنَا الْإِحْتِفَاطُ بِمَعْلُومَاتِ صَادِقَةٍ وَإِخْفَائِهَا عَنِ الْآخَرِينَ، لَرُبَّمَا لِأَنَّهُمْ يُعَانُونَ مِنْ مُشْكَلَةٍ صِحِّيَّةٍ كَمَرَضِ الْقَلْبِ مَثَلًا. وَقَدْ يَكُونُ لَدَيْهِمْ مَشَاكِلَ عَاطِفِيَّةٍ وَيَكُونُونَ غَيْرَ مُسْتَقَرِّينَ عَاطِفِيًّا بِشَكْلِ لَا يَسْمَحُ لَهُمْ بِتَحْمُلِ صَدَقَاتِنَا. فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَمَرَّرَ شُعُورَنَا بِالذَّنْبِ، أَوْ حَاجَتِنَا لِنُعْرَفَ كَأَشْخَاصٍ صَادِقِينَ، مِنْ خِلَالِ عَدْسَةِ مَحَبَّتِنَا لِلْآخَرِينَ، وَالتَّزَامِنَا بِخَيْرِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ، قَبْلَ أَنْ نَسْحَقَهُمْ بِصِدْقِنَا.

بَعْدَ أَنْ ذَكَرْتُ هَذِهِ الْهَمُومَ، يَتَوَجَّبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْأَصِحَّاءِ وَالْمُسْتَقَرِّينَ جَسَدِيًّا وَرُوحِيًّا وَعَاطِفِيًّا أَنْ يَسْغُوا نَحْوَ عِلَاقَاتِ صَادِقَةٍ وَمُنْفَتِحَةٍ. فَمَا أَسْمَيْتُهُ "بِكْتِيرِيَا"، يُسَمِّيهِ الرَّسُولُ بُولُسُ، "خَفَايَا الْخِزْيِ"، وَ"السُّلُوكِ فِي الْمَكْرِ". أَنَا أَسْمِي السُّلُوكِ فِي الْمَكْرِ "الْمُرَاوَعَةَ وَالْمُنَاوَرَةَ فِي التَّوَاصُلِ، أَوْ اللَّعْبَ عَلَى الْكَلَامِ". عِنْدَمَا نَتَأَكَّدُ مِنْ كَوْنِنَا نَتَعَامَلُ مَعَ سَلَامَةِ الْآخَرِينَ بِدَلِّ أَنْ نَهْتَمَّ بِشُعُورِنَا بِالذَّنْبِ، وَعِنْدَمَا تَكُونُ لَدَيْنَا الشُّجَاعَةُ لِلتَّوَاصُلِ، عَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّطَ الضُّوْءَ عَلَى خَفَايَا الْخِزْيِ، وَنَكْفِ عَنِ السُّلُوكِ فِي الْمَكْرِ عِنْدَمَا نَتَوَاصَلُ مَعَ الْآخَرِينَ.

## الفصل السادس

### وصفة للخطية

أكبرُ مُشكلةٍ لديّ ولديك، وسواءً أكنْتَ نعرفُ ذلكَ أم لا، هي الخطيَّة. المُشكلةُ الكُبرى التي يُعاني منها الناسُ في هذا العالم هي الخطيَّة. الفرقُ بينَ المؤمنين وغير المؤمنين هو أن المؤمنين منّا يعرفون أن مُشكلاتنا الكُبرى هي الخطيَّة، وأهلُ هذا العالم، الذين لم يؤمنوا ولم يؤلِّدوا ثانيَّةً، لا يعرفون أن الخطيَّة هي مُشكلاتهم الكُبرى.

إنَّ الكلماتِ المُختلفة التي يستخدمها الكتابُ المُقدسُ للخطيَّة، تُعرِّفُ لنا الخطيَّة. هذه الكلمات هي مفاهيم مثل كسر قاعدة ما، عدم فهم إشارة مُعيَّنة، عدم الوُصول إلى الهدف، الإنحراف نحو طريقنا الخاص، والتصرفُ بمعزلٍ عن الله. القضيَّة هي ما إذا كُنَّا سنعملُ مشيئةَ الله، أم سنسلُكُ بعنادٍ في طريقنا الخاص؟

إحدى أعمق الوصفات الكتابيَّة لإيجاد حلٍّ لمُشكلة الخطيَّة، نجدُها في رسالة بولس إلى مؤمني روما (رومية ٧: ١٥ - ٨: ١٣). اللِّصْف الأخير من رومية ٧ يُسجِّلُ عظة بولس الشهيرة عن الصِّراع الذي عاناه هو شخصياً مع مُشكلة الخطيَّة. ركَّز بولس على مُشكلة الخطيَّة في قلبه وعقله. في هذا المقطع، فتح بولس باب قلبه، وعقله، وبشفافية مُدهشة، جعلنا نرى الصِّراع الذي عانى منه مع الخطيَّة في قلبه وعقله. وبعمله هذا، أعطانا بصيرةً لنفهم قلوبنا وعقولنا والصِّراع الذي نُعاني منه مع الخطيَّة.

قبل أن ننظرَ إلى عظة بولس وإلى حلِّ الله، علينا أن نفوِّمَ بالمُلاحظة التَّالية: إنَّ بولس لا يتعاملُ هنا بشكلٍ أساسيٍّ مع الخطيَّة في حياة غير المؤمن. بل سبقَ وعالجَ هذه المُشكلة وحلَّها في الإصحاحات الأربعة الأولى من رسالته إلى أهل رومية. في الإصحاحات ٥ إلى ٨ من رسالة رومية، يُركِّزُ بولس على قضيَّة الخطيَّة في حياة المؤمن. قد يُضيفُ المُلاحظة التَّالية: إنَّه يعالجُ مُشكلة الخطيَّة في حياة المؤمن الذي يرغبُ بالقُداسة.

تُخبرنا كلمةُ الله أنَّه علينا أن نكوِّنَ قديسين لأنَّ الله قُدوس. وحده المؤمن الذي يرغبُ بأن يكونَ قديساً، هو الذي يُقدِّرُ خُطورةَ سُلطةِ وقُوَّةِ الخطيَّة. فإن كُنْتَ لا تُحاولُ أن تعيشَ حياةً مُقدَّسةً، لن تُفكِّرَ كثيراً بالخطيَّة؛ لأنَّها ليست مُشكلة بالنسبة لك. ولكنَّك سوف تُقدِّرُ خُطورةَ الخطيَّة أكثرَ جدًّا، عندما تسعى مثل بولس الرُّسول، نحو حياة القُداسة. رُغمَ أنَّ تعليم بولس حول هذا الموضوع مُطوَّلٌ جدًّا، ولكنني أريدُ أن أقتبسَ العظةَ بكاملها ووصفةَ الخطيَّة التي تليها. أنا أوَّمنُ أنَّه لم يكنْ هناك وقتٌ في جسد المسيح، إحتجنا فيه أن نفهمَ هذه القضايا بمقدار ما نحتاجُ لفهمها اليوم. لدينا الكثير من الناس اليوم، الذي يعترفون بكونهم أتباع

ليسوع المسيح، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن هذه الوصفة العميقة التي شاركها معنا بؤس في رومية ٧: ١٤ - ٨: ١٣.

### سِمْفُونِيَّةٌ مِنْ عَدَمِ الْمَلَأَمَةِ

"لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإنني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطيئة الساكنة في. فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فليست أجذب. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده فإياه أفعل فليست بعد أفعله أنا بل الخطيئة الساكنة في. إذا أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي. فإني أستر بناموس الله بحسب الإنسان الباطن. ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي. ويجي أنا الإنسان الشقي. من يُنقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطيئة."

### سِمْفُونِيَّةٌ الْمَلَأَمَةِ

"إذا لا شيء من الديونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطيئة والموت. لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً في الجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة، دان الخطيئة في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون ولكن الذين حسب الروح فيما للروح. لأن إهتمام الجسد هو موت ولكن إهتمام الروح هو حياة وسلام. لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لنااموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع.

"فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطيئة وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم. فإذا أيها الإخوة نحن مذبوثون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميثون أعمال الجسد فستحيون."

يُقدِّم بولس وصفاً رائعاً أكثر من أيِّ مكانٍ آخر في الكتاب المقدَّس، لمشكلة الخطيَّة والوصفة الإلهيَّة العظيمة لحلِّ مشكلة الخطيَّة في حياة المؤمن. قد تقولُ أنَّ الكتاب المقدَّس بكامله قد يُسمَّى "وصفةً ضدَّ الخطيَّة". فالصليبُ هو رمزٌ لوصفةٍ وحلِّ الله لمشكلة الخطيَّة في حياة غير المؤمنين، وهو يستمرُّ بكونه مفتاح إنتصار المؤمن على الخطيَّة. هذا ما يتكلَّم عنه الكتاب المقدَّس بجملته.

الوصفة للخطيَّة في حياة المؤمنين، الذي يُريدون أن يعيشوا حياةً مقدَّسةً، تُوصفُ بعدة طُرُقٍ وفي عدَّة أماكن في الكتاب المقدَّس، ولكنك لن تجدَها موصوفةً بشكلٍ أفضل ممَّا تمَّ وصفها به في هذه المقطع الذي اقتبسته أعلاه. أحدُ أشهر مفسري الكتاب المقدَّس، الدكتور وليم باركلي، الذي كانَ لمدَّة أربعين سنةً أستاذاً للكتاب المقدَّس في جامعة إندبره في سكوتلندا، يُسمي تعليم بولس عن الخطيَّة "سمفونيَّة عدم الملاءمة".

بينما يُشاركنا هذا الرسولُ المحبوب بشفاقيَّة صادقة عن صراعه مع الخطيَّة، يُخبرنا أن بعضَ الوصفاتِ ضدَّ الخطيَّة هي غيرُ ملائمة. يُرينا هذا المقطع مثلاً عدم ملاءمة وصفة جسديَّة محضَّة ضدَّ الخطيَّة. عندما يستخدِم بولس عبارة "في جسدي"، أو "في الجسد"، يقولُ لنا باركلي أنه يعني، "في طبيعتي الجسديَّة، بمعزلٍ عن الله، وبدون مُساعدة الله".

بعد أن بدأتُ سلسلة الرِّسائل هذه حولَ وصفاتٍ للمشاكل، دعوتُ مُستمعي وفُرَّائي ليكتبوا لي عن مشاكل يُريدونني أن أعالجها. فأرادني أحدُهم أن أعالج مشكلة "المسيحيِّ الجسديِّ". كانَ السؤالُ حرفيًّا: "لماذا أصبحَ الكثيرون من الذين يعترفون أنه مسيحيُّون مؤمنون، لماذا أصبحوا مسيحيين جسديين؟"

إنَّ عبارة "مسيحيِّ جسديِّ" هي تناقضٌ واضحٌ في المعنى. فكلمة "جسديِّ" تأتي من الكلمة اليونانيَّة "جسد". وكلمة "مسيحي" تعني حرفيًّا، "شخصاً يُشبهُ المسيح تماماً". فإن كانَ شخصٌ ما شبيهاً بالمسيح، لن يكونَ جسديًّا، ولن يعيشَ في طبيعته الجسديَّة بدون مُساعدة الله. وليس بإمكاننا بتاتاً أن نُطبِّق مفهومَ الحياة هذا على الحياة التي عاشها يسوع المسيح هنا على الأرض.

الذي نُسمِّيه مسيحيًّا جسديًّا هو شخصٌ يعترفُ بإيمانه المسيحيِّ، وهو الذي لم يكتشف بعدَ وصفة الله لحلِّ مشكلة الخطيَّة في حياة المؤمن، بالطريقة التي يصفها بها بولس الرسول. وإن كانَ قد اكتشفها، فإنَّه لا يفهمها، وإن كانَ قد فهمها، فإنَّه لا يعرف كيف يطبِّقها. لرُبما حتَّى لم يكتشف أن أكبرَ مشكلةٍ لديه، كونه مؤمناً، هي مشكلة الخطيَّة.

إنَّ إعراف بولس بصراعه مع الخطية بالطريقة التي يُعبرُ عنها في هذا المقطع، يُشكِّلُ مُعضلةً بالنسبة للعديد من المفسرين الذين يقولون أنه من غير المُمكِن أن بولس كان يتكلَّم

عن نفسه عندما كتبَ هذا الإِعْتِرَافَ الصَّادِقَ عن صِراعِهِ مَعَ الخَطِيئَةِ. يَظُنُّونَ أَنَّ الرِّسُولَ النَّاظِحَ بُولُسَ، لَمْ يَكُنْ مُمَكِّناً أَنْ يَكْتُبَ هَكَذَا أُمُورَ كَتَلِكِ التي تَحَدَّثُ عَنْهَا فِي مَعْرَكَتِهِ مَعَ الخَطِيئَةِ.

هذا المَقْطَعُ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَكْثَرِ المَقَاطِعِ التي أُسِيءَ فَهْمُهَا وتَطْبِيقُهَا فِي كِتَابَاتِ بُولُسَ. لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْخَاصاً يَقُولُونَ، بَعْدَ قِرَاءَةِ هَذَا المَقْطَعِ، أَنَّهُ إِنْ كَانَ لَدَى بُولُسَ هَكَذَا صُعُوبَةٌ مَعَ الخَطِيئَةِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّنَا عِنْدَمَا نَتَجَرَّبُ نَحْنُ مَعَ الخَطِيئَةِ، عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَسَلِمَ مُبَاشِرَةً وَنَتَجَنَّبَ الصِّرَاعَ. آخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا هَذَا المَقْطَعِ، يَقُولُونَ أَنَّهُ بِنَاءً عَلَى هَذَا التَّصْرِيحِ الذي قَدَّمَهُ بُولُسَ، مِنَ المُسْتَحِيلِ الإِرْتِقَاءَ فَوْقَ الخَطِيئَةِ. بِإِمْكَانِي أَنْ أَرَى كَيْفَ تَوَصَّلُوا إِلَى هَذَا الإِسْتِنْتِاجِ، إِذَا تَوَقَّفُوا عِنْدَ نَهَائِيَةِ الإِصْحَاحِ السَّابِعِ. فَالإِصْحَاحُ السَّابِعُ يُقَدِّمُ الأَخْبَارَ السَّيِّئَةَ. أَمَّا الأَخْبَارُ السَّارَّةُ فَتَبْدَأُ فِي الإِصْحَاحِ الثَّامِنِ.

بِالنِّسْبَةِ لِي، الكَلِمَةُ العَامِلَةُ هُنَا هِيَ كَلِمَةُ "جَسَدٍ". يَقُولُ بُولُسُ بِبِساطَةٍ، "بِمَعزَلٍ عَنِ اللّهِ، وَبِدُونِ مُسَاعَدَتِهِ، أَوْصَلَنِي صِرَاعِي مَعَ الخَطِيئَةِ إِلَى حَيْثُ إِعْتَبَرْتُ نَفْسِي نِفايَةً." إِنْ لَمْ تَكُنْ قَدْ حَقَّقْتَ إِنْجَازَاتٍ عَلَى الصَّعِيدِ الرُّوْحِيِّ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الأَسْهَلِ لَكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ بَعْضاً مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ. أَمَّا عَلَى الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ الإِنْجَازَاتِ الرُّوْحِيَّةَ، فَمِنَ الأَصْعَبِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَعَلَّمُوا هَذَا. لَقَدْ كَانَ بُولُسُ مُحَقِّقٌ إِنْجَازَاتٍ رُوْحِيَّةٍ مِنَ الطَّرَازِ الأَوَّلِ، لِهَذَا تَطَلَّبَهُ الأَمْرُ وَقْتاً طَوِيلًا. وَلِهَذَا إِجْتَازَ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الصِّرَاعِ.

فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ جَرَّبٍ أَنْ يَعْيشَ حَيَاةَ البِرِّ والقَدَاسَةِ وَالخِلاصِ بِمَعزَلٍ عَنِ اللّهِ، وَبِدُونِ مُسَاعَدَةِ اللّهِ، أَكْثَرَ مِنْ سَأُولِ الطَّرَسُوسِيِّ. وَلَكِنْ، بَيْنَمَا جَرَّبُ أَنْ يَجِدَ حَلًّا لِمُشْكِلةِ خَطِيئَتِهِ بِمَعزَلٍ عَنِ اللّهِ، وَبِدُونِ مُسَاعَدَةِ اللّهِ، وَجَدَ نَفْسَهُ فِي تَوَثُّرٍ رَهيبٍ وَإِنْفِصَامٍ مُرِيعٍ، مِمَّا أَوْصَلَهُ إِلَى حَيْثُ قَالَ عَنِ نَفْسِهِ، "وَيَحْيِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيَّ."

لَقَدْ إِسْتَخْدَمَ إِسْتِعَارَةً مُقَرِّفَةً. صَرَخَ قَائِلًا، "مَنْ يُنْفِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا المَوْتِ؟" فِي جِوَارِ المِنطِقَةِ التي تَرَبَّى فِيهَا سَأُولِ الطَّرَسُوسِيِّ، مَارِسَ الفَاتِحُونَ الرُّومَانَ القَسَاةَ أُسْلُوبًا مُرِيعًا مِنْ حُكْمِ الإِعْدَامِ. فَعِنْدَمَا كَانَ يُحَكِّمُ عَلَى شَخْصٍ مَا بِالإِعْدَامِ، كَانُوا يُعَرِّوْنَهُ مِنْ ثِيَابِهِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ بِجُثَّةِ الضَّحِيَّةِ التي قَتَلَهَا المُجْرِمُ المَحْكُومُ بِالإِعْدَامِ، وَيَقِيدُونَهَا بِسِلاسِلِ إِلَى جَسَدِ المُجْرِمِ، ظَهراً عَلَى ظَهْرٍ، رَابِطِينَ إِيَّاهُمَا بِسِلاسِلِ عِنْدَ الكَاحِلَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَالقَدْحَيْنِ، وَبَاقِي أَجْزَاءِ الجَسَدِ. وَكَانُوا يُرْسِلُونَ المُجْرِمَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ إِلَى البَرِّيَّةِ. فَكَانَتْ جُثَّةُ الضَّحِيَّةِ المُتَأَكِّلَةَ تُصِيبُ جَسَدَ المُجْرِمِ بِالأَمْرَاضِ، وَتَسَبِّبُ بِمَوْتِهِ بِشَكْلِ مُرِيعٍ.

هَذَا مَا يَقُولُهُ بُولُسُ فِي نَهَائِيَةِ هَذَا المَقْطَعِ فِي الإِصْحَاحِ السَّابِعِ. إِنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يُخْبِرَنَا كَيْفَ جَرَّبُ، بِمَعزَلٍ عَنِ اللّهِ وَبِدُونِ مُسَاعَدَتِهِ، أَنْ يَكُونَ قَدِيسًا وَيَرِيحَ مَعْرَكَتَهُ مَعَ الخَطِيئَةِ. قَالَ، "مَنْ يُنْفِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا المَوْتِ؟" وَقَصَدَ حَرْفِيًّا، "هَذِهِ الجُثَّةُ التي قُتِلَتْ إِلَيْهَا؟"

بِحَسَبِ تَعْلِيمِ بُولُسَ عَنِ الْخَطِيئَةِ أَوْ سَمْفُونِيَّةِ عَدَمِ الْمَلَأَمَةِ، الَّتِي قَادَتْهُ إِلَى سَمْفُونِيَّةِ الْمَلَأَمَةِ، إِنَّ حَلَّ مُشْكِلَةِ الْخَطِيئَةِ لَنْ نَجِدَهُ دَاخِلَنَا؛ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ مِنْ خَارِجِ نَفُوسِنَا. إِنَّ نَظْرَةَ بُولُسَ إِلَى الْخَطِيئَةِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ، يُظْهِرُ لَنَا عَدَمَ مَلَأَمَةِ الْوَصْفَةِ الْجَسَدِيَّةِ الْمُحَضَّةِ لِلتَّغْلِبِ عَلَى مُشْكِلَةِ الْخَطِيئَةِ. إِنَّ الْإِنْتِصَارَ عَلَى مُشْكِلَةِ الْخَطِيئَةِ يُمَكِّنُ فَقَطْ أَنْ يُوجَدَ فِي وَصْفَةِ اللَّهِ الْقَائِلَةِ، "لَا دَيْنُونَةَ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ، بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ." (رُومِيَّةُ ٨: ١).

فَإِنْ كُنْتَ تُحَاوِلُ، مِثْلَ بُولُسِ، أَنْ تُعَالِجَ مُشْكِلَةَ الْخَطِيئَةِ بِقُوَّتِكَ الدَّائِيَّةِ، عَلَيْكَ أَنْ تَقْبَلَ وَصْفَةَ اللَّهِ الْيَوْمَ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ آخَرَ.

## الفصل السابع

### وصفة للشعور بالذنب

لم يحتج أحد أكثر من داود لإيجاد حلٍ لمشكلة الشعور بالذنب. إن كنت تريد أن تُقدّر قيمة سبب شعور داود بالذنب، اقرأ قصة أسوأ صفحة من حياة داود في سفر صموئيل الثاني التاريخي، من الإصحاح ١١ إلى ١٨. لقد كان داود ثاني ملك في إسرائيل، وكان أفضل ملكٍ لشعب إسرائيل على الإطلاق. ملكٌ لمدة أربعين سنة، وبعد أن صار له في الملك أربعين سنة عاماً، نعلم أنه أخطأ. لقد إقترَفَ خَطِيئَةَ الرَّئِي مع امرأةٍ تُدعى بَثْشَبَع، ومن ثمَّ خَطَطَ لِقَتْلِ زوجها في ساحة المعركة.

عندما تمت مراجعة قصة حياته في ملوك الأول الإصحاح ١٥، نقرأ: "فعل داود ما هو مستقيم في عيني الرب، ولم يمل عن كل ما أمره به الله كل أيام حياته، إلا في أمر أوريا الحثي." فعندما نظر الله خلفياً إلى هذه الحقبة الرهيبة من حياة داود، كان أسوأ جزء من خطيئته هو ما فعله بأوريا، وليس ما فعله بزوجة أوريا.

في الأسفار التاريخية التي تُعطينا معلوماتٍ عن قصة حياة داود، سوف تجد عدة مقاطع تتكلم عن أبطال داود. فلقد كان داود قائداً عظيماً لرجالٍ أبطال. إن الكلمة العبرية "حسد"، هي كلمة تصف عهد الولاء، والالتزام الذي إتخذه داود تجاه هؤلاء الرجال، وإتخذه هم تجاهه. كان أوريا واحداً من هؤلاء الأبطال. وعندما أخطأ داود ضد أوريا، خان عهد "الحسد" بينه وبين أوريا.

ظن داود أن أحداً لم يعلم بشأن هذه الخطية البشعة. ولمدة سنة كاملة بعد خطيئته مع بَثْشَبَع، وبعد موت أوريا المدبر، ظن داود أنه نجح في تغطية خطيئته. لا بد أن تلك السنة كانت أكثر سني داود حزناً، لأنه إختبر فيها شعوراً رهيباً بالذنب. في المزمور ٣٢، يُخبرنا داود أن الشعور بالذنب كان قوياً لدرجة أن فؤته كانت تتبحرُ نهاراً وليلاً كالماء في نهارٍ مُشمس. بكلماتٍ أخرى، لقد عانى من المرض الجسدي بسبب ذنبه.

ولكن عندما جاء نبي شجاع اسمه ناتان إلى قصر داود، وإتهمه بخطيئته، قال داود مباشرةً، "لقد أخطأتُ ضد الرب." فقال النبي، "الرب الإله يهوه رفع خطيتك." (٢ صموئيل ١٢: ١٣). لقد كان الغفران تلقائياً، ومُنِحَ مباشرة فور إقرار داود بخطيئته.

يفترض أنه بعد المواجهة مع النبي ناتان صلى داود صلاة المزمور ٥١. في إقرار الصلاة الجميل هذا سوف نكتشف وصفتنا الكتابية للشعور بالذنب.



إن كُنْتَ تتصارعُ مع الشُّعُورِ بالدُّنْبِ، ولا تعرفُ كيفَ تعترفُ بخطاياك، أشجِّعُكَ أن تحفظَ هذا المزمورَ عن ظهرِ قلبٍ. حتَّى ولو تطلَّبتَ الأمرُ سنةً كاملةً، إحفظهُ وصلِّه نهاراً وليلاً إلى أن تكتشِفَ بركةَ العُفْرانِ التي يُعيِّرُ عنها داوُدُ في بدايةِ المزمورِ ٣٢. إذا فعلتَ هذا، ستكتشِفُ وصفةَ الله للشُّعُورِ بالدُّنْبِ. هذه هي أعمقُ صلاةِ توبَةٍ وإعترافٍ بالخطيئةِ سبقَ وكُتِبَت في التاريخ:

"إرحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رافتك أمح معاصي. اغسلني كثيراً من إثمي. ومن خطيئتي طهرني. لأني عارف بمعاصي وخطيئتي أمامي دائماً. إليك وحدك أخطأت والشرُّ قدَّامَ عينيك صنعت. لكي تتبرَّرَ في أقوالك وتزكو في قضائك. هأنذا بالإثم صُورْتُ وبالخطيئة حُلِّيت بي أمي. ها قد سررت بالحق في الباطن في السريرة تُعرِّفني حكمة." (مزمور ٥١: ١-٦).

في الأعدادِ الإفتتاحيةِ من صلاةِ الإعترافِ البليغةِ هذه، يطلبُ داوُدُ رحمةً ومحبةً وشفقةً الله العظيمة. ويُطالبُ بِجُملةِ رحمةِ الله الرقيقة. في مزموره الشهير عن الرَّاعي، يختمُ داوُدُ بقوله أن خيرَ ورحمةً ومحبةً الله غير المشروطة ستنبعهُ كُلَّ أيامِ حياته (مزمور ٢٣: ٦).

يُرينا هذا أن داوُدَ يعرفُ اللهَ بالفعل. أيُّ شَخْصٍ يعرفُ اللهَ فعلاً، يعرفُ أن اللهَ يُحبُّه على أية حالٍ، أو بدونِ شرطٍ، وأن محبةَ الله لا تتحقَّقُ بأدائه الإيجابي ولا تُفقدُ بأداءِ سلبِي. هذا ما تعنيه كلمة "نعمة" وكلمة "رحمة". إن رحمةَ الله تحبُّبُ عنا العقابِ الذي نستحقُّه، ونعمةَ الله تسكُّبُ علينا كُلَّ أنواعِ البركاتِ التي لا نستحقُّها. وبما أن داوُدَ يعرفُ اللهَ حقاً، فإنَّهُ يُطالبُ بِمحبةٍ وشفقةٍ ورحمةٍ الله العظيمة، خلالَ إعترافِهِ بِخطاياهِ.

وهكذا يعترفُ داوُدُ بالخطيئةِ ضدَّ الله يهوه، وليسَ ضدَّ بنتشبع، ولا حتَّى ضدَّ أوريا. فداوُدُ يرى أنَّه أخطأ ضدَّ يهوه، الله، وضدَّه وحده. رُغمَ أن داوُدَ أخطأ بشكلٍ فظيعٍ ضدَّ أوريا، وبتشبع، فإنَّ محبتهَ لله كانت قويَّةً لدرجةِ أن الأذى الذي سببهَ ليهوه كانَ أعظمَ بكثيرٍ من الأذى الذي سببهَ لواحدٍ من أبطالِ جيشهِ وزوجةِ هذا القائد. صلَّتِ امرأةٌ نقيَّةٌ من عصرٍ آخرِ قائلَةً، "يا ربُّ، أفضِّلُ أن أذهبَ إلى الجحيمِ من أن أحزنَ رُوحَكَ القدوسَ ثانيةً." يُعيِّرُ هذا عن رُوحِ ما قصدهُ داوُدَ عندما صلَّى، "إليكَ وحدك أخطأت، والشرُّ قدَّامَ عينيك صنعت."

يعرفُ داوُدُ أنَّه سوفَ يكونُ هناكَ عُفْرانٌ من قِبَلِ الله. نسمعهُ يقولُ في صلاتِهِ مُتَعَجِّباً، "سوفَ أبيضُّ أكثرَ من الثلجِ. سوفَ أصبحُ نظيفاً من جديد. وسوفَ أمثلي من بهجةِ خلاصي ثانيةً. وسأعلمُ الأئمةَ طُرُقَكَ. والخطاةُ إليك يَرجعون." يعرفُ داوُدُ أن اللهَ سوفَ يردُّ نفسه، لأنَّهُ يعرفُهُ بِحَقِّ.

في الفصل الأخير، شاركتُ بعضَ الكلماتِ الكتابية عن الخطيَّة، لتعريفِ الخطيَّة. إن كنتُ مُهتَمّاً بتعريفِ الخطيَّة، لاحظُ الطريقة التي بها يعرفُ داود ويعترفُ بحقيقتِهِ خطيَّته. نسمعهُ يُصَلِّي، "يا لإثمي ويا لِخَطِيَّتِي. لقد أخطأتُ. وأنا أعتَرَفُ بأنامي. لقد صنعتُ هذا الشرَّ العظيم." إنَّهُ لا يُبِرِّرُ نفسه؛ ولا يجدُ لنفسِهِ آيةَ أَعذارٍ. بل يَصِفُ خطيَّتهُ بثلاثِ طُرُقٍ. يُسمِّيها "إثم." هذا يعني عصيان مُتعمَّد، وكسرٌ مقصودٌ لِلوَصِيَّةِ. يَصِفُ هذا بكونِهِ "شرّاً." هذا يعني أَنَّ هُنَاكَ شيءٌ مُعوجُّ فيَّ. فلقد أخطأ السهمُ الهَدَفَ، لأنَّ السهمَ مُعوجُّ. هُنَاكَ شيءٌ مُلتَوٍ فيَّ، ولهذا السبب غالباً ما أُخطئُ الهدفَ وأفتَرِفُ الشرَّ. وأخيراً يُسمِّي هذا "خَطِيَّتِي"، ويقصدُ بها، "فشلِي التَّام."

عندما يُصَلِّي طالباً التَّطهير والتَّنْفِيَّة، يطلبُ تطهيراً يُشبهُ تنظيفَ الثَّيابِ المُتسخة التي تُصبحُ بيضاءً كالثلج من جرَّاءِ الغسلِ الدائم. "اغسلني" هي كلمةٌ عبريةٌ تعني "الخبطُ أو الدَّوس." فالطريقةُ التي كانوا يَغسلُون بها الثَّيابَ في تلكِ الأيَّام، ولا يزالونَ أحياناً في أيَّامنا هذه في منطقةِ الشرقِ الأوسط، كانت بِخبطِ الثَّيابِ على الصُّحُور. فكأنوا يضعونها في النَّهر، ثُمَّ يَنقَعونها في الصَّابُون، ثُمَّ يدوسونها ويخبطونها على الصُّحُور، ويُعيدونَ وضعها في النَّهر ثانيةً. وهكذا قالَ داود، "دُسْ عليَّ يا الله، واخبطْ مِنِّي كُلَّ خَطِيَّةٍ وإثمٍ."

أعتقدُ أَنَّ قولَهُ التَّالِي مُؤثِّرٌ جدًّا، "أستزُّ وجهَكَ عن خطاياي." تصوَّرْ ألمَ وحُزنِ هذه الصَّلَاة. "يا الله، أرجوكَ أن لا تنظرَ إلى خطاياي." ولكنَّ الحقيقة هي أَنَّهُ من المُستحيلِ أن لا يرى اللهُ خطايا داود وخطاياي وخطاياك. فكلُّ ما نعملُهُ مكشوفٌ أمامَ عينيَّ اللهُ. فهو يرى كُلَّ شيءٍ (عبرانيين ٤: ١٣). إن كُنَّا نعرفُ اللهُ بِحَقٍّ، وإن كُنَّا نُحِبُّ اللهُ بِحَقٍّ، وإن كُنَّا نريدُ أن نَمجِّدَ اللهَ ونَرْضِيهِ، فسيكونُ في قَلْبِ شُعُورنا بالدَّنب، أو تبيكتنا على الخطيَّة، ستكونُ الحقيقةُ الصَّارخةُ أَنَّنَا أخطأنا ضِدَّهُ، وأمامَهُ، وهو رأى الكُلَّ.

لاحظوا أيضاً الطريقة التي يعرفُ بها داود نفسه. فهو يُصَلِّي ما معناه، "يا الله، لديَّ مُشكلة، وأنتَ تُريدُني أن أعرفَ الحقيقةَ عن مُشكَلتي. تُريدُني أن أعرفَ الحقيقةَ عن نفسي في داخلي كياني. مُشكَلتي هي أَنني خاطئٌ. ولقد كُنْتُ دائماً خاطئاً. عندما تكوَّنتُ في بطنِ أُمِّي، كُنْتُ خاطئاً من البداية. وعندما حَبَلتْ بي أُمِّي، كُنْتُ خاطئاً. فالكلبُ يعوي لأنَّهُ كلبٌ، وأنا أخطئُ لأنَّني خاطئٌ. هذه هي مُشكَلتي."

هكذا يرى داود نفسه، وهذا يَوقِدُهُ إلى الجزءِ الثَّاني من صلَّاتِهِ، التي هي سِجِلٌّ لتضرُّعاتِ داود. تُوجدُ بضعةُ أجزاءٍ في كُلِّ صلَاةٍ، ولكن لا تكونُ الصَّلَاةُ صلَاةً إلا إذا كانت فيها تضرُّعات. إنَّ كلمةَ "صَلَّى" تعني "تضرَّع، أو طلب." تأملُوا بتضرُّعاتِ صلَاةِ الإعتِرافِ الرَّائعةِ هذه:

"طَهَّرَنِي بِالزُّوْفَا فَأَطْهَرُ. إِغْسِلْنِي فَأَبْيَضُ أَكْثَرَ مِنَ التَّلْجِ. أَسْمِعْنِي سُرُوراً وَفِرْحاً فَتَنْبَهَجَ عِظَامٌ سَحَقْتَهَا. أَسْتُرُ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ وَامْحُ كُلَّ آثَامِي."

"قَلْباً نَقِيّاً أَحْلُقُ فِيَّ يَا اللَّهُ وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدْ فِي دَاخِلِي. لَا تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَامِ وَجْهَكَ وَرُوحَكَ الْقُدُوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي. رُدِّ لِي بِهِجَةً خَلَاصِكَ وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ أُعْضِدْنِي. فَأَعْلَمُ الْأَثَمَةَ طُرْقَكَ وَالْخَطَاةَ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ."

"نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللَّهُ إِلَهَ خَلَاصِي. فَيُسَبِّحْ لِسَانِي بِرِّكَ. يَا رَبُّ افْتَحْ شَفَتَيَّ فَيُخْبِرَ فَمِي بِنَسِيحِكَ." (مزمور ٥١: ٧-١٥)

هذه التضرُّعاتُ الجميلة تُزَوِّدُنِي بِجَوْهَرٍ وَصِفَةٍ لِلَّهِ لِلْخَطِيئَةِ. وَتُبْرَهُنُ أَيْضاً بِفِصَاحَةٍ عَنِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ الَّذِي يَنْتُجُ عَنِ التَّبَكُّيْتِ عَلَى الْخَطِيئَةِ. هَذِهِ هِيَ أَنْوَاغُ التَّضَرُّعَاتِ الَّتِي بِهَا يَنْبَغِي أَنْ نَقْتَرِبَ مِنَ اللَّهِ، عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَجِدَ حَلًّا لِمُشْكَلَةِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ النَّاتِجِ عَنِ خَطِيئَتِنَا الْفَاحِشَةِ. لَا تُعْتَبَرُ هَذِهِ مُحَاوَلَةً لِتَغْطِيَةِ خَطَايَانَا. وَليْسَ ضَمَادَةً سَطْحِيَّةً نَضْعُهَا عَلَى تَوْرُمِ خَبِيثٍ.

إِنَّ كَلِمَةَ "إِعْتِرَافٍ" فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ هِيَ كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْكَلِمَتَيْنِ الْيُونَانِيَّتَيْنِ "قَوْلِ الْمَثِيلِ". تُعَلِّمُنَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَنَّ إِعْتِرَافَنَا يَعْنِي أَنْ نَقُولَ مِثْلَ مَا يَقُولُهُ اللَّهُ عَنِ الْخَطِيئَةِ، أَوْ أَنْ نُوَافِقَ مَعَ اللَّهِ عَلَى خَطَايَانَا. عِنْدَمَا نُصَلِّي هَذِهِ التَّضَرُّعَاتِ، نَقُولُ عَنِ الْخَطِيئَةِ مِثْلَ مَا يَقُولُ اللَّهُ عَنْهَا. إِنْ كَانَ لَدَيْكَ الْإِيمَانُ لَتَثِقَ بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ لَهُ لِتَتَجَاوَبَ عِنْدَمَا تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ، سَوْفَ تَكْتَشِفُ أَعْظَمَ وَصِفَةَ لِلْخَطِيئَةِ وَالشُّعُورِ بِالذَّنْبِ الَّتِي سَبَقَ وَكُتِبَتْ.

عِنْدَمَا يُصَلِّي دَاوُدَ قَائِلاً، "إِنْضَحْنِي بِالزُّوْفَا فَأَطْهَرُ"، يُشِيرُ إِلَى مُمَارَسَةِ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَفِظُونَ بِالزُّوْفَا لِخَطَايَا مِثْلِ جَرِيْمَةِ الْقَتْلِ الَّتِي كَانَ يُحَكِّمُ عَلَى مُقْتَرِفِهَا بِالْإِعْدَامِ. وَهَكَذَا يُخْبِرُنَا دَاوُدُ بِمَا يُفَكِّرُ عَنِ خَطِيئَتِهِ عِنْدَمَا يُقَدِّمُ هَذِهِ التَّضَرُّعَاتِ.

كَثِيرٌ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لِمُخْتَلَفِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَسْتُخْدِمُهَا دَاوُدُ لَوْصَفِ خَطِيئَتِهِ، مُقْتَبَسَةٌ فِي كِتَابٍ عَنِ هَذَا الْمَزْمُورِ كَتَبَهُ David Swartz بِعُنْوَانِ، "الرَّقْصُ مَعَ عِظَامٍ مُحَطَّمَةٍ." وَإِلَيْكُمْ إِقْتِبَاساً مُطَوَّلًا مِنْ تَفْسِيرِهِ لِهَذَا الْمَزْمُورِ:

"لَقَدْ أَحَبَّ دَاوُدُ الرَّقْصَ. وَكَانَ يُعَبِّرُ بِشَكْلِ قَوِيٍّ خِلَالَ عِبَادَتِهِ. وَكَانَ سَيُعْتَبَرُ كَارِيزِمَاتِيكِيًّا الْيَوْمَ، لِأَنَّهُ رَقَصَ حَرْفِيًّا خِلَالَ عِبَادَتِهِ لِلرَّبِّ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ تَطَلَّبَ نَاثَانَ النَّبِيَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْحِكْمَةِ لِيُدْرِكَ أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ خَطْبٌ مَا فِي دَاوُدَ، لِأَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنِ الرَّقْصِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ لِلسَّنَةِ كَامِلَةٍ. وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى خَيْمَةِ الْإِجْتِمَاعِ لِلسَّنَةِ كَامِلَةٍ. لَمْ يَتَطَلَّبِ الْأَمْرُ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا لَتُدْرِكَ أَنَّهُ قَدْ حَلَّ خَطْبٌ مَا بِدَاوُدَ.

"ولكن ما يقوله داود هنا هو، "اجعلني أسمع أصوات الفرح والسعادة مجدداً، وسوف ترقص العظام التي كسرتها". المرص الذي عانى منه بسبب شعوره بالذنب، جعله يشعر وكأن عظامه جميعها قد تحطمت. هذا ما كان يقوله. عظام محطمة. ولكنه يقول أن هذه العظام المحطمة سوف ترقص مجدداً، وسوف تجعلني أسمع مجدداً صوت الفرح."

لاحظ أن داود يذكر ذنبه. "نجني من الدماء يا الله." يشير هذا بوضوح إلى قتل أوريا. وهكذا يتوقع داود قائلاً، "فيستح لساني برك."

رغم أنه يرى نفسه كأبشع خاطئ عاش على الأرض، يعبر داود عن الرجاء والثقة التي كانت لديه باليقين التام أن الله سيغفر له، يعبر عن ذلك بالصلاة التي تقول ما معناه أن الله لا يطرح أحداً إلى خارج. ينبغي أن تدرك هذا. لقد ملك داود لمدة أربعين سنة. وكان ملك إسرائيل لمدة أربعة عشر عاماً عندما إقترت هذه الخطية. وإستمر بكونه أفضل ملك في إسرائيل لسنة وعشرين سنة إضافية بعد أن إقترت خطيته. فالله لم يطرحه خارجاً. بل إستجيبت تضرعات داود هذه بكاملها.

إذا صليت هذه الصلاة من أعماق قلبك، فإن الله سيستجيب لتضرعاتك هذه وسيجعل من هذا المزمور وصفتك الشخصية للخطية والشعور بالذنب.

عندما تتعرف إلى داود، تجده "رجلاً بحسب قلب الله، يعمل كل مشيئة الله." (اصموني ١٣: ١٤؛ أعمال ١٣: ٢٢) غالباً ما يقول الناس، "هل تصدق أن رجلاً قديساً كداود ممكن أن يقترف هكذا خطايا شنيعة؟" ولدي سؤال آخر لك. هل تصدق أن بربرياً كداود، عاش ستة عشر قرناً قبل أن تستوطن قبائل الهنس في أوروبا، يمكن أن يكتب المزمور الثالث والعشرين؟ وهل تصدق أن رجلاً عاش ألف سنة قبل المسيح يمكن أن يعترف بخطيته بالطريقة التي اعترف بها داود بخطيته في هذا المزمور الموحى به؟

عندما تدرس تضرعات داود، وتدرك أنه عاش قبل المسيح بألف عام، سرعان ما ستدرك أنه إما كان سابقاً لوقته لأهوتياً، أو أنه كان يتكلم نبوياً. ففي يوم الخمسين، وصف بطرس داود كنبى. (أعمال ٢: ٣٠). ولكي تتأكد من خلال عدة أمثلة أن داود كان سابقاً لزمانه وأنه كان يتصرف كنبى في صلاة الإعراف هذه، تأمل بالتالي: "عندما صلى داود، إمع معاصي،" كان يعني هذا حرفياً، "إلغ خطيتي." لم يكن يصلي من أجل الغفران. بل كان يطلب من الله أن يجعل من خطيته وكأنها لم تحدث أصلاً. لأن يسوع مات على الصليب، فهذا هو بالتحديد ما تقوله أجمل كلمات العهد الجديد عما يفعله الله بخطيتنا. علم يسوع في مثل الفريسي والعشار أن كل من يصلي صلاة الخاطئ سوف يبرر. (لوقا ١٨: ٩ - ١٤).

إنَّ رسالة بُولُس إلى أهل رومية هي أشملُ تصريحٍ عن الإنجيل في الكتاب المقدَّس. إنَّ هذه التُّحفة اللاهوتية لبُولُس الرَّسُول هي تفسيرٌ للأخبار السَّارة المُقدَّمة في هذه الكلمة الواحدة من الإنجيل. إنَّ كلمة مُبرَّر يُمكنُ أن تُفسَّر كالتالي: "وكأنَّني لم أُخطئُ أصلاً." بالإضافة إلى ذلك، الكلمة تعني أننا أعلننا أبراراً، وكأننا لم نُخطئُ أصلاً. لقد أبرزَ داوُد نبويًّا كلمة العهد الجديد العظيمة هذه، في مزموِر الاعتراف الموحى به.

مَثَلٌ آخَر هُوَ عِنْدَمَا يُصَلِّي قَائِلاً، "نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللَّهُ، إِلَهَ خَلَاصِي، فَيَسِّخِ لِسَانِي بِرِّكَ"، وليسَ بِرِّي الشَّخِصِي. إنَّ هذه النُّظرة النَّبَوِيَّة تُلقِي الضَّوءَ على ما نُسمِّيهِ بالكفَّارة البَدِيلِيَّة. فنحنُ لا نُعلنُ أبراراً من قِبَلِ اللَّهِ لكوننا نحنُ أبراراً. بل نُعلنُ أبراراً، أو نُبرِّزُ، لأنَّ المسيحَ ماتَ من أجلنا على الصَّليب. إنَّ اللهَ يَنْقُلُ حَرْفِيًّا بِرَّ ابْنِهِ إلينا عندما نُؤمنُ بالإنجيل. فبِرَّ المسيحِ يُمنَحُ لنا بسببِ موتِ المسيحِ. رأى داوُدُ هذا قبلَ المسيحِ بألفِ عامٍ.

عِنْدَمَا صَلَّى قَائِلاً، "قَلْباً نَوِيًّا أُخْلِقُ فِيَّ يَا اللَّهُ، وَرُوحاً مُسْتَقِيماً جَدِّدَ فِي دَاخِلِي"، كَانَ يُبرِّزُ نَبَوِيًّا ما سيشيرُ إليه يسوعُ والرُّسُلُ "كالولادة الثَّانِيَّة". لقد عرفَ أنَّه لم يحتجِ إلى مُجرَّدِ تَصْلِيحِ سَطْحِي فِي قَلْبِي. بل عرفَ أنَّه احتاجَ إلى عملٍ خارقٍ للطَّبيعة في قَلْبِي. صَلَّى قَائِلاً ما معناه، "بما أنَّني خاطئٌ في قَلْبِي وكياني الدَّاخِلِي، فإنَّ لم تُحَقِّقْ عملَ خَلْقٍ عجائبي في أعماقِ كيانِ، فسوفَ أفعُ في الخَطِيئةِ مُجدِّداً. ينبغي أن تصنعَ مُعجزةً في قَلْبِي."

الجوابُ على التضرُّع هُوَ ما قاله يسوعُ لمُعَلِّمِ النَّامُوسِ عن الولادة الجديدة، وكذلك تعليق بُولُس الرَّسُول، الذي يَصِفُ ما قصده يسوعُ عندما قالَ لِنِيْفُودِيمُوسَ، "لا تتعجَّبوا أنِّي قُلْتُ لَكُمْ ينبغي أن تولدوا من فوق، لأنَّ المولودَ من الجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، والمولودُ من الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ." (يُوحَنَّا ٣: ٦، ٧). إنَّ تعليقَ بُولُسِ يَصِفُ الولادةَ الجديدةَ بهذه الطريقة. "إنَّ كانَ أحدٌ في المسيحِ فهوَ خَلِيقَةٌ جديدةٌ. الأشياءُ العتيقةُ قد مَضَتْ. هُوَذَا الكُلُّ قد صارَ جديداً." (٢ كورنثوس ٥: ١٧). فنحنُ مخلوقون في المسيحِ يسوعَ، بحسبِ قولِ بُولُسِ. فعندما نُولدُ ثَانِيَّةً، يُنَجَّرُ فينا عملُ خَلْقٍ. وبالتحليلِ النَّهائِي، الولادةُ الجديدةُ هي الحَلُّ الوَحِيدُ لمُشكلةِ الخَطِيئةِ والشُّعُورِ بالدُّنْبِ.

يُتابعُ داوُدُ إظهارَ التَّمييزِ الرُّوحِي عن عِنْدَمَا يُصَلِّي قَائِلاً: "لأنَّكَ لا تُسرُّ بِدَبِيحَةٍ وَإِلا فَكُنْتُ أَقْدِمُهَا. بِمُحَرِّقَةٍ لا تَرْضَى. دَبَائِحُ اللَّهِ هِيَ رُوحٌ مُنكسِرةٌ. القَلْبُ المُنكسِرُ والمُنسَجِحُ يَا اللَّهُ لا تَحْتَقِرُهُ."

"أحسنُ بِرِضَاكَ إلى صِهْيُون. ابنِ أسوارِ أورشليمِ. حينئذٍ تُسرُّ بِدَبَائِحِ البِرِّ مُحَرِّقَةً وَتَقْدِمُهُ تَامَةً. حينئذٍ يُصعدُونَ على مَذبِحِكَ عَجُولاً." (مزموِر ٥١: ١٦-١٩).

إِنَّ وَصْفَةَ الْخَطِيئَةِ وَالذَّنْبِ فِي زَمَنِ دَاوُدَ كَانَتْ أَخَذَ حَيوانٍ إِلَى خِيْمَةِ الْإِجْتِمَاعِ وَالْعِبَادَةِ، وَتَقْدِيمِهَا ذَبِيحَةً عَنْ خَطَايَاكَ. كَانَ الْكَاهِنُ يَتَشَفَّعُ مِنْ أَجْلِكَ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ الطُّقُوسِ الَّتِي كَانَتْ تَرْمِزُ نَبَوِيًّا إِلَى وَصْفَةِ اللَّهِ التَّهَانِيَّةِ لِمَشْكَالَةِ الْخَطِيئَةِ وَالذَّنْبِ. يُرِينَا دَاوُدَ مُجَدِّدًا أَنَّهُ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَرَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ زَمَانِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا صَلَّى قَائِلًا، "يَا رَبُّ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ سَتَرْضَى بِالذَّبَائِحِ الْحَيوانِيَّةِ، لَكُنْتُ أَتَيْتُ بِقَطِيعِ كَامِلٍ مِنَ الْحَيواناتِ إِلَى خِيْمَةِ الْإِجْتِمَاعِ. وَلَكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَا تُرِيدُهُ. فَأَنْتَ لَا تَرْضَى بِذَّبَائِحِ حَيوانِيَّةٍ. وَلَا تُسَرُّ بِمُحْرَقَاتٍ. مَا تُرِيدُهُ بِالْفِعْلِ، وَالذَّبِيحَةُ الَّتِي تُسَرُّ قَلْبَكَ حَقًّا، هِيَ مَا أَقْدَمُهُ لَكَ الْآنَ؛ رُوحاً مُنْكَسِرَةً، وَقَلْباً مُنْسَجِحاً وَمَكْسُوراً."

إِنَّ كَلِمَةَ "مُنْسَجِحٌ" تَعْنِي، "التَّاسُفُ الشَّدِيدُ عَلَى الْخَطِيئَةِ." عِنْدَمَا جَاءَ يَسُوعُ، تَلَفَّظَ بِالْمَوَاقِفِ الَّتِي تَجْعَلُ مَنَا جِزْءاً مِنْ مَلْكَوتِهِ، وَتُظْهِرُ أَنَّ لَدِينَا قِيَمَ مَلْكَوتِهِ. مَا هُوَ الْمَوْقِفُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَظْهَرَهُ؟ "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ." "الْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ" تَعْنِي، "الْمُنْسَجِحِي الرُّوحِ." فَيُمْكِنُ تَرْجَمَةَ التَّطَوُّبِيَّةِ الْأُولَى، "طُوبَى لِلْمُنْسَجِحِينَ فِي الرُّوحِ." (مَتَّى ٥: ٣).

هَلْ تَعْرِفُ مَاذَا يَعْنِي الْإِنْكَسَارُ؟ اللَّهُ يَضَعُ قِيَمَةً كَبْرَى عَلَى الْإِنْكَسَارِ. هُنَاكَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْإِنْكَسَارِ. بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَكُونَ مُنْكَسِرِينَ فِي رُوحِنَا أَمَامَ اللَّهِ بِسَبَبِ خَطَايَانَا، وَفِشَلْنَا، وَمَرْضَانَا، وَمَاسِينَا، وَشَتَّى أَنْوَاعِ الْأَزْمَاتِ. لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَكُونَ الْحَالُ عَلَى هَذَا الْمَنَوَالِ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ الْمَوْقِعُ عَادَةً. عِنْدَمَا نَكُونُ مُنْكَسِرِينَ أَمَامَ اللَّهِ، نَكُونُ مُنْفَتِحِينَ لِأَيِّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ مَنَا. نَقُولُ لِلَّهِ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ، وَفِي أَيِّ وَقْتٍ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ يَا رَبُّ. فَأَنَا مَكْسُورٌ لِأَصْنَعُ مَشِيئَتَكَ. هَذَا مَا قَصَدَهُ دَاوُدَ عِنْدَمَا قَالَ لَنَا أَنَّ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ مَنَا عِنْدَمَا نَعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِنَا، هُوَ قَلْبٌ مُنْسَجِحٌ وَرُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ.

كَيْفَ تَشْعُرُ عِنْدَمَا تُخْطِئُ وَتُحْزَنُ قَلْبَ اللَّهِ؟ لَقَدْ عَرَفَ دَاوُدَ بِالْفِعْلِ. وَإِنْكَسَرَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُ أَحْزَنَ اللَّهَ مِنْ خِلالِ خَطِيئَتِهِ. كَانَ لَدِيهِ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ وَقَلْبٌ مُنْسَجِحٌ، حَتَّى عَظَامُهُ شَعَرَ بِأَنَّهَا مُنْسَجِحَةٌ، كَبْرَهَانٍ عَلَى أَسْفِهِ. كَانَتْ الْعِظَامُ الْمُنْسَجِحَةُ ظَاهِرَةً تُعْبِرُ عَنِ الْإِنْكَسَارِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ. فَهُوَ يُخْبِرُنَا فِي إِعْتِرَافِهِ بِخَطِيئَتِهِ بِمَا مَعْنَاهُ، "هَذَا هُوَ نَوْعُ الذَّبِيحَةِ الَّتِي تُرِيدُهَا يَا رَبُّ."

كَانَ لَدَى دَاوُدَ مَشْرُوعاً إِعْتَبَرَهُ عَمَلُ اللَّهِ. وَكَانَ هَذَا بِنَاءَ الْأَسْوَارِ الْمُحِيطَةِ بِأُورُشَلِيمَ. فَنَحْمِيَا لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي فَعَلَ هَذَا. لَقَدْ أَصْلَحَ نَحْمِيَا الْأَسْوَارَ وَأَعَادَ بِنَاءَهَا. وَدَاوُدَ عَمِلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ، لِأَنَّ الْأَسْوَارَ كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَى صِيَانَةٍ دَائِمَةٍ، وَلِأَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِي الْمَدِينَةَ. لَقَدْ شَعَرَ أَنَّ هَذَا مَا كَانَ يُرِيدُهُ اللَّهُ، وَهَكَذَا أَظْهَرَ تَمَيِّزاً عِنْدَمَا صَلَّى قَائِلًا مَا مَعْنَاهُ، "عِنْدَمَا تُبْنِي هَذِهِ الْأَسْوَارَ يَا رَبُّ، سَوْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُبَارِكَ صِهْيُونَ." وَكَانَتْ كَلِمَةُ صِهْيُونَ تَعْنِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْجَمَاعَةَ الرُّوحِيَّةَ الَّتِي تَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ صَالِحٍ، مُبْتَعِدَةً عَنِ الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُهَا الشُّعُوبُ الْمُجَاوِرَةَ. عِنْدَمَا تُبْنِي هَذِهِ الْأَسْوَارَ، سَوْفَ تَرْضَى بِتِلْكَ الذَّبَائِحِ الَّتِي تُرِيدُهُ

أنت بالفعل. "تطبيقاً، يُشيرُ أحياناً إلى العودة إلى الربِّ، أو إلى دلائلٍ عمليَّةٍ أُخرى دعاها يُوحنا المعمدان، "ثماراً تليقُ بالتَّوبَةِ." (متى ٣: ٨).

### التفصيلُ والنتائجُ

الشيءُ المُهمُّ عن الإختبارِ الرُّوحِيِّ ليسَ تفاصيلِ هذا الإختبارِ، بل نتائجُهُ. يُسجَلُ المزمورُ الحادي والخمسون إختبارَ داود عندما اعترفَ بخطيئتهِ الرهيبةِ من قتلِ وزنيِّ. في المزمور الثاني والثلاثين، الذي يتعلَّقُ أيضاً بالإعترافِ بخطيئتهِ، يصفُ داود نتائجَ إختبارِ إعترافِهِ وإنسحاقِهِ وتوبتهِ.

العوارضُ الجسديَّةُ التي يصفُها بالتفصيلِ، ترتبطُ بشكلٍ واضحٍ بسنةِ التَّغْطِيَةِ الرهيبةِ تلكِ، عندما كانَ داودُ يظنُّ أنَّ لا أحدَ يعلمُ عن خطيئتهِ. في إعترافِهِ، صلَّى طالباً إسترداداً بهجةِ خلاصِهِ، لأنَّهُ يريدُ أن يُسبِّحَ الربَّ من جديد. وفي ما تبعَ مزمور الإعترافِ ذلكِ، نجدُ أنَّ اللهَ إستجابَ لتضرُّعاتِهِ.

"طوبى للذي غُورَ إثمُهُ وسُتِرَتِ خطيئتهُ. طوبى لرجلٍ لا يحسبُ له الربُّ خطيئةً ولا في روجهِ غشٍّ. لَمَّا سَكَتُ بليتِ عظامي من زفيري اليومِ كُلُّهُ. لأنَّ يدَكَ تَفَلَّتْ عليَّ نهاراً وليلاً. تحوَّلتِ رُطوبتي إلى يَبُوسَةِ القَيْظِ. اعترفُ لكِ بخطيئتي ولا أكنتمُ إثمي. قُلْتُ اعترفُ للربِّ بِذُنُوبِي وأنتَ رفعتَ أُنَامَ خطيئتي." (مزمور ٣٢: ١-٥)

نتيجةً للشُّعُورِ بالذنبِ، إن كنتَ تُعاني من أزمةٍ عاطفيَّةٍ، ومن عوارضِ المنازعةِ الجسديَّةِ التي يصفُها داودُ في هذا المزمورِ، أشجِّعُك ثانيةً على أن تُصليَ المزمورَ ٥١. ثمَّ، إقرأ المزمورَ ٣٢ ولا حظَّ ما ينبغي أن تختبرَهُ نتيجةً لإستخدامِ كلماتِ داودِ الموحى بها، للإعترافِ بخطاياك.

إن كنتَ قد صلَّيتَ صلاةَ داودِ الموحى بها، ولكنك لا تختبرُ بركةَ الغُفرانِ، تحتاجُ أن تنسىَ ما ينساهُ اللهُ وأن تتذكَّرَ ما يتذكَّرُهُ اللهُ. فاللهُ يغفِرُ وينسىَ خطايانا. هذا ما نقولهُ كلمةُ اللهُ. فاللهُ يقولُ صراحةً، "لأنِّي أصفحُ عن إثمهم ولا أذكرُ خطيئتهم بعد." (إرميا ٣١: ٣٤). ولكنَّ اللهُ يتذكَّرُ أننا خطاةٌ. أمَّا نحنُ فننسى أننا خطاةٌ. هذا على الأقلِّ سببٌ واحدٌ لوقوعنا في الخطيئةِ مراراً وتكراراً. علينا أن نتذكَّرَ أننا خطاةٌ، وأن ننسىَ خطايانا بعدَ أن نتوبَ عنها.

إن كنتَ ستستخدمُ هذين المزمورين ليُقوداك إلى إختبارِ إعترافِ وتوبَةٍ، بإمكانك أن تختبرَ بركةَ الغُفرانِ التي وصفها داودُ ببلاغةٍ، على أنها غيابٌ تامٌّ للشُّعُورِ بالذنبِ وتأكيدٌ مُطلقٌ لغُفرانِ أبينا السماويِّ. عندما تختبرُ ما يصفُهُ داودُ في هذا المزمورِ، الذي يأتي بعدَ صلاةِ إعترافِهِ وتوبتهِ، ستكتشفُ كما فعلَ داودُ، أنَّ اللهَ يُلاحقُك بِصَلاحِهِ ومحبتهِ غيرِ

المشروطة. هذا ما حرَّكَكَ لِنُصَلِّيَ صَلاةَ الإِعْتِرَافِ، الإِنْسِحَاقِ، وَالتَّوْبَةِ. إِنَّ رَحْمَتَهُ سَوفَ تَرفَعُ عَنكَ العِقَابَ الَّذِي تَسْتَحِقُّهُ، وَنِعْمَتَهُ المُخْلِصَةَ العَجيبةَ سَوفَ تُغدِقُ عَلَيكَ بَرَكاتٍ رَائعةً لا تَسْتَحِقُّها.



## خاتمة

لقد تمكنا فقط من دراسة صفات الله للقليل من مشاكلنا في هذا الكتيب. كُتِبْنَا الْمُقْبِلِ سَوْفَ يُعْطَى الْمَزِيدَ مِنَ الْوَصْفَاتِ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ الْأَكْثَرَ أَهْمِيَّةً الَّتِي أُرِيدُ مُشَارَكَتَهَا مَعَكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ، هِيَ أَنَّهُ بَعْضُ النَّظَرِ عَمَّا هِيَ مُشْكِلَتُكَ، لَدَى اللَّهِ وَصْفَةٌ إِهْيَاءٌ لِهَذِهِ الْمَشْكَالَةِ. صَلَاتِي هِيَ أَنْ يُشَجِّعَكَ هَذَا الْكُتَيْبُ عَلَى دِرَاسَةِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَأَنَّكَ سَوْفَ تَنْمُو فِي إِيمَانِكَ. تَعَالَ إِلَى الرَّبِّ بِقَلْبٍ مَفْتُوحٍ، وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَكَ حِكْمَتَهُ وَأَنْ يُرِيكَ وَصْفَتَهُ لِمَشَاكِلِكَ، وَمَنْ تَمَّ أَدْرُسْ بَرُوحَ الصَّلَاةِ كَلِمَتَهُ، وَسَوْفَ يَكُونُ أَمِينًا لِيُقَوِّدَكَ إِلَى حَقِّهِ الَّذِي سَيُحَرِّرُكَ." (يعقوب ١: ٥؛ أمثال ٣: ٥-٦؛ يوحنا ٨: ٣١، ٣٢، ٣٦).

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل